الجزء الرابع عشر

علي بن عبد الله بن موهب الجذامي

أبو الحسن. له تأليف عظيم في تفسير القرآ ن، روى عن ابن عبد البر وغيره، مات في سادس عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائةٍ، ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائهٍ.

علي بن عبد الله بن محمد

ابن عبد الباقي بن أبي جرادة العقيلي أبو الحسن الأنطاكي من أهل حلب يسكن باب أنطاكية، غزير الفضل، وافر العقل، دمث الأخلاق، حسن العشرة، له معرفة بالأدب واللغة والحساب والنجوم، ويكتب خطاً حسناً، وله أصول حسنة، ورد بغداد سنة سبع عشرة وخمسمائةٍ وسمع بها وغيرها، وسمع بحلب أبا الفتح عبد الله بن اسماعيل بن أحمد بن أبي عيسى الحلبي، وأبا الفتيان محمد بن سلطان بن حبوس الغنوى.
قال ابن السمعاني: قرأت عليه بحلب وخرجت يوماً من عنده فراني بعض الصالحين فقال لي: أين كنت؟ قلت عند أبي الحسن بن أبي جرادة، قرأت عليه شيئاً من الحديث فأنكر علي وقال: ذاك يقرأ عليه الحديث؟ قلت: ولم؟ هل هو إلا متشيع يرى رأي الحلبيين؟ فقال لي: ليته اقتصر على هذا، بل يقول بالنجوم ويروى رأي الأوائل، وسمعت بعض الحلبيين يتهمه بذلك. وسألته عن مولده فقال: في محرمٍ سنة إحدى وستين وأربعمائةٍ بحلب، وأنشدني لنفسه:

يا ظباء البـان قـولاً بـينـاً ... من لنا منكم بظبيٍ ملـنـا؟
يشبه البدر بـعـاداً وسـنـا ... من نفى عن مقلتي الوسنا؟
فتكت ألحاظه في مهجـتـى ... فتك بيض الهند أو سمر القنا
يصرع الأبطال في نجـدتـه ... إن رمي عن قوسه أو إن رنا
دان أهل الدل والحسـن لـه ... مثل ما دأنت لمولانا الـدنـا

قال: ومات سنة نيفٍ وأربعين وخمسمائة. قلت: وكان لأبي الحسن هذا ابن فاضل أديب شاعر اسمه الحسن؟ وكنيته أبو علي، سافر إلى مصر في أيام ابن رزيك ومدحه وحظي عنده، ثم مات بمصر سنة احدى وخمسين وخمسمائةٍ وهو القائل:

يا صاحبي أطيلا في مؤانـسـتـي ... وذكـرانـي بـخـلانٍ وعـشـاق
وحدثاني حـديث الـخـيف إن بـه ... روحاً لقلبي وتسهـيلاً لأخـلاقـي

ما ضر ريح الصبا لو ناسمت حرقي واستنقذت مهجتي من أسر أشواقي
داء تقادم عندي، مـن يعـالـجـه? ونفثه بلغت منى، من الـراقـي?
يفنى الزمان وآمـالـي مـصـرمة ممن أحب على مـطـلٍ وإمـلاق
واضيعه العمر لا الماضي أنتفعت به ولاحصلت على أمرٍ من البـاقـي

علي بن عبد الجبار بن سلامة

ابن عيذون الهذلي اللغوي أبو الحسن التونسي ذكره السلفي فقال: أنشدني أبو محمد الشواذلي القيرواني قال: أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميمٍ الحصري لنفسه بالقيروان:

قالوا اطرح أبداً كاف الخطاب ففي خط الكتاب بها حط من الـرتـب
فقلت من كان في نفسي تصـوره فكيف أنزله في منزل الـغـيب?

قال: وسألته عن مولده فقال: سنة ثمان وعشرين وأربعمائةٍ يوم عيد النحر بتونس، وتوفي رحمه الله في ذي الحجة سنة تسع عشرة وخمسمائة بالإسكندرية، وكان إماماً في اللغة حافظاً لها حتى إنه لو قيل لم يكن في زمانه ألغى منه لما استبعد، وكانت له قدرة على نظم الشعر، وله إلى قصائد وقد أجبته عنها.
ومن جملة شعره قصيدة في الرد على المرتد البغدادي، فيها أحدعشر ألف بيتٍ على قافيةٍ واحدةٍ، وفيها فوائد أدبيه. وسمعته يقول: رأيت أبا بكرٍ محمد بن علي ابن عبد البر اللغوي بمدينة مازر من جزيرة صقلية، وكنت عزمت على أن أقرأ عليه لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة، فاتصل بابن منكودٍ صاحب البلد أنه يشرب وكان يكرمه، فشق عليه وصار يكرهه وأنفذ إليه وقال: المدينة أكبر والشراب بها أكثر، فأحوجته الضرورة إلى الخروج منها ولم أقرأ عليه شيئاً.
وأما أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني، فقد رأيته أيضاً بمازر، وأنشدني شيئاً ولم أر قط أحفظ للعربية واللغة من أبي القاسم بن القطاع الصقلي، وقرأت عليه كثيراً.

علي بن عبد الرحمن الخزاز السوسي

أبو العلاء اللغوي من سوس خوزستان من أهل الأدب واللغة سمع المحاملي أبا عبد الله، وروى عنه أبو نصرٍ السجزي الحافظ، ولا أعلم من حاله غير هذا.

علي بن عبد الرحيم بن الحسن

ابن عبد الملك ابن ابراهيم السلمي المعروف بابن العصار اللغوي من أهل الرقة، ورد بغداد فقرأ بها العلم وأقام بالمطبق من دارالخلافة المعظمة، ومات في ثالث المحرم سنة ستٍ وسبعين وخمسمائةٍ، ومولده في سنة ثمان وخمسمائةٍ. انتهت إليه الرياسة في معرفة اللغة العربية. قرأ على أبي منصورٍ الجواليقي ولازمه حتى برع في فنه، وسمع الحديث من أبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش، والقاضي أبي بكرٍ محمد بن عبد الباقي قاضي البيمارستان، وأبي الوقت السجزي وغيرهم. وتخرج به جماعة منهم الشيخ أبو البقاء عبدالله بن الحسن العكبري الضرير، وكان تاجراً موسراً ضابطاً سافر الكثير إلى الديارالمصرية وأخذ عن أهلها وروى عنهم، وخطه المرغوب فيه المتنافس في تحصيله، فإنه مليح الخط جيد الضبط، ولا أعرف له مصنفاً ولا سمعت له شعراً

علي بن عبد العزيزالبغوي

بن المزربان بن سابور أبو الحسن البغوي الجوهري، عم أبي القاسم البغوي نزيل مكة، صاحب أبي عبيدٍ القاسم بن سلامٍ وروى عنه غريب الحديث، وكتاب الحيض، وكتاب الطهوروغير ذلك. وحدث عن أبي نعيمٍ، وحجاج بن المنهال، ومحمد بن كبيرٍ العبدي، وسلمة بن إبراهيم الأزدى، والقعنبي، وعاصم بن عليٍ وغيرهم، وصنف المسند. حدث عنه ابن اخيه عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ودعلج السجزي، وسليمان بن أحمد الطبراني. وحدث بالمسند عنه أبوعليٍ حامد بن محمدٍ الرفاء الهروي. سئل عنه الدار قطني فقال: ثقة مأمون. وقال ابن أبي حاتمٍ: وهو صدوق. حدث أبو بكر السني سمعت أبا عبدً الرحمن النسائي، وسئل عن علي بن عبد العزيز المكي فقال: قبح الله علي ابن عبد العزيز ثلاثاً، فقيل له يا أبا عبد الرحمن: أتروى عنه؟ فقال لا، فقيل له يا أبا عبد الرحمن: أتروي عنه؟ فقال لا، فقيل له: أكان كذابا؟ فقال: لا،

ولكن قوماً اجتمعوا ليقرءوا عليه وبروه بما سهل، وكان فيهم إنسان غريب فقير لم يكن في جملة من بره، فأبى أن يقرأ عليهم وهو حاضر حتى يخرج أو يدفع كما دفعوا، فذكر الغريب أن ليس معه إلا قصيعة فأمره بإحضارها، فلما أحضرها حدثهم.

وعن القاضي أبي نصر بن الكسار سمعت أبا بكرٍ السني يقول: بلغني أن علي بن عبد العزيز كان يقرأ كتب أبي عبيدٍ بمكة على الحاج بالأجر، فإذا عاتبوه على الأخذ قال: يا قوم أنا بين الأخشبين، إذا خرج الحاج نادى أبو قبيسٍ قعيقان من بقى؟ يقول: بقي المجاورون فيقول: أطبق.

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله ابن المنادى فيمن مات في سنة سبعٍ وثمانين ومائتين. وجاءنا الخبر بموت على بن عبد العزيز صاحب ابي عبيدٍ من مكة مع الحاج، وأنه توفي قبل الموسم.

وحدث أبو سعدٍ السمعاني بإسنادٍ رفعه إلى أبي الحسين محمد بن طالبٍ النسفي قال: سمعت علي بن عبد العزيز بمكة في المسجد الحرام يقول: كنت عند مؤدبي الذي علمني الخط فجيء ببنيةٍ له صغيرةٍ يقال لها وسناء وعليها ثوب حريرٍ، فأجلسها في حجره وأنشأ يقول:

وما الوسناء إلا شبـه درٍ ولاسيما إذا لبست حريرا
فأحسن زيها ثوب نظيف تكفن فيه ثم أرى سريرا
تهادى بين أربعةٍ عجـالٍ إلى قبرٍ فتملؤنا سرورا

علي بن عبد العزيزالجرجاني

بن الحسن بن علي، ابن اسماعيل الجرجاني أبو الحسن قاضي الري في أيام الصاحب بن عبادٍ وكان أديباً أريباً كاملاً. مات بالري يوم الثلاثاء لستٍ بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائةٍ وهو قاضي القضاة بالري حينئذٍ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال: ورد نيسابور سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ مع أخيه أبي بكرٍ، وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر، وأبو الحسن قد ناهز الحلم، فسمعا معاً الحديث الكبير، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذكر في الدنيا. وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، وحضر جنازته الوزير الخطير أبوعليٍ القاسم بن علي بن القاسم وزير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض راجلين، ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى عيسى بن أحمد الديلمي فاستدعى من قزوين، وولى قضاء

القضاة بالري وله يقول الصاحب بن عبادٍ: وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار عليٍ قاضي الري:

إذا نحن سلمنا لك العـلـم كـلـه فإنهـم لا يرتـضـون بجزعٍ إذا نظمت أنت مـجـيئنـا فدعنا وهذي الكتب نحسن صدورها شـذورهـا

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به، وشمخ بانفه بالأنتماء إليه. وطوف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس العلوم والآداب، ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره. وله رسائل مدونه وأشعار مفننة، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة. ومن شعره:

أفدى الذي قال وفي كفه الورد قد أينع في وجنتي مثل الذي أشرب من فيه قلت: فمي باللثم يجنـيه

ومنه:

يقولون لي فيك انقبـاض وإنـمـا أرى الناس من داناهم هان عندهم وما زلت منحازاً بعرضي جانـبـاً إذا قيل هذا مشرب قلت قـد أرى وما كل برقٍ لاح لي يستفـزنـي ولم أقض حق العلم إن كان كلمـا ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتـي أأشقى به غـرسـاً وأجـنـيه ذلةً ولوأن أهل العلم صانوه صانـهـم ولكن أدلـوه جـهـاراً ودنـسـوا رأوا رجلاً في موقف الذل أحجما ومن أكرمته عزة النفس أكرمـا من الذم أعتد الصيانى مغـنـمـا ولكن نفس الحر تحتمل الظـمـا ولا كل أهل الأرض أرضاه منعما بدا طمع صيرته لـي سـلـمـا لأخدم من لاقيت لكـن لأخـدمـا إذن فابتياع الجهل قد كان أحزما? ولوعظموه في النفوس تعظـمـا محياه بالأطماع حتى تجـهـمـا

ومنه:

وقالوا: اضطرب في الأرض فالرزق واسع إذا لم يكن في الأرض حر يعينني فقلت: ولكن مطلب الرزق ضيق ولم يك لي كسب فمن أين أرزق؟

ومنه:

أحب اسمه من أجله وسميه ويتبعه في كل أخلاقه قلبي ويجتاز بالقوم العدا، فأحبهم وكلهم طاوى الضمير على حربي

ومنه:

قد برح الشوق بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك لا تجفه وارع له حقه فإنه خاتم عشاقك

وللقاضي عدة تصانيف منها: كتاب تفسير القران المجيد، كتاب تهذيب التاريخ. كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل نيسابور:

أيا قاضياً قد دنت كتبه وإن أصبحت داره شاحطه كتاب الوساطه في حسنه لعقد معاليك كالواسطة

ومن شعره:

ما تطعمت لذ العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا ليس شيء أعز عندي من العل م فلم أبتغي سواه أنيسا؟ إنما الذل في مخالطة أتلن ناس فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

ومن سائر شعره قوله:

إذا شئت إن تستفرد المال منفقاً على شهوات النفس في زمن العسر فسل نفسك الأنفاق عليك وإنظاراً إلى من كنز صبرها زمن اليسر فإن فعلت كنت الغنى وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر

وحدث الثعالبي عن أبي نصرٍ التهذيبي قال: سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبيل العيد فجاءني رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذا البيتان:

يا أيها القاضي الذي مع قرب عهد لقائه

نفسي له مشتاقه
أهديت عطراً مثل فكأنما أهدى له
طيب ثنائه أخـلاقـه

قال: وسمعته يقول: إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فأنشدني:

أكرم أخاك بأرض وأمده من فعلك
مولده الحسـن
فالعز مطلوب وأعزه ما نيل في
وملتمـس الوطن

ثم قال: قد فرغت من هذا المعنى في العينية، فقلت لعل مولانا يريد قولي:

وشيدت مجدي بين ألا ليت قومي
قومي فلم أقل يعلمون صنيعي؟

فقلت: ما أردت غيره، والأصل فيه قوله تعالى:)يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين(.قال الثعالبي: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز حسنة جرجان وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري: وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه، - وأنشد بيت الصاحب المقدم ذكره - وقد كان في صباه خلف الخضر في قطع عرض الأرض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء علماً، وفي الكمال عالماً، ثم عرج على حضرة الصاحب فألقى بها عصا المسافر، فاشتد اختصاصه به وحل منه محلاً بعيداً في رفعته، قريباً في أسرته، وسير فيه قصائد أخلصت على قصدٍ، وفرائد، أتت من فردٍ، وما منها إلا صوب العقل وذوب الفضل، وتقلد قضاء جرجان من يده، ثم تصرفت به أحوال في حياة الصاحب وبعد وفاته من الولاية والعطلة، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالري، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى.

وعرض أبو نصرٍ المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب، في معنى القاضي أبي الحسن نسخته بعد التصدير والتشبيب: قد تقدم من وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سيق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب

الجيش - دام علوه - من كتبي ما أعلم إني لم أؤد فيه بعض الحق وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسمٍ من أقسام الأدب والعلم، فأما موقعه مني: فالموقع الذي تخطبه هذه المحاسن وتوجبه هذه المناقب، وعادته معي ألا يفارقني مقيماً وظاعناً ومسافراً وقاطناً، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإلمام فطالبني مكانه بتعريف الأمير مصدره وموردره، فإن عن له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله، ليتعجل إنكفاؤه إلي بما رسم - أدام الله أيامه - من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بذرقةٍ إن احتاج إلى الاستظهار بها، ومخاطبةٍ لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عنده تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده فإني ما غاب كالمضل الناشد، وإذا عاد كالغانم الواجد، فعل إن شاء الله.

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي، عمل القاضي أبوالحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره، فأحسن وأبدع، واطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمد في فصل الخطاب، وأعرب عن تبخره في الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناحٍ.

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما ومن شعره:

إنثر على خدى مـن وردك — أو دع فمى يقطفه من خدك

ارحم قضيب البان وارفق به — قد خفت أن ينقد من قـدك

وقل لعينيك بنفسـي هـمـا — يخففان السقم عن عـبـدك

وله:

وفـارقـت حـتـى مـا أسـر بـــمـــن دنـــا — مخـــافة نـــأيٍ أو حـــذار صـــــدود

فقد جعلت نفسي تقول لمقلتيوقد قربوا خوف التباعد جودي
فليس قريباً من يخاف بعاده ولا مـن يرجــى قـــربـــه بـــبـــعـــيد

وله يستطرد:

من عاذري من زمنٍ ظالـم ليس بمستحيٍ ولا راحـم؟
يفعل بالإخـوان أحـداثـه فعل الهوى بالدنف الهـائم
كأنما أصـبـح يرمـيهـم عن جفن مولاي أبي القاسم

وقال يذكر بغداد ويتشوقها:

يا نسيم الجنوب بالـلـه بـلـغ مايقول المتيم المـسـتـهـام
قل لأحبابـه فـداكـم فـؤاد ليس يسلو ومقـلة لا تـنـام
بنتم فالرقاد عـنـدي سـهـاد مذ نأيتم والعيش عندي لمـام
فعلى الكرخ فالقطـيعة فـال شط فباب الشعير منى السلام
يا ديار السرور لازال يبكـي بك في مضحك الرياض غمام
رب عيشٍ صحبته فيك غـضٍ وجفون الخطوب عنـي نـيام
في لـيال كـانـهـن أمـان من زمـان كـأنـه أحـلام
وكأن الأوقات فيهـا كـئوس دائرات وأنـسـهـن مـدام
زمن مسعد وإلـف وصـول ومني يستـلـذهـا الأوهـام

كل أنس ولذةٍ وسرورٍ بعد ما بنتم على حرام

وله في ذلك:

سقى جانبي بغداد أخلاف مـزنةٍ تحاكى دموعي صوبها وانحدارها

فلي منهما قلب شجاني اشتياقه ومهجة نفسٍ ما أمل ادكارها
سأغفر للأيام كل عظيمةٍ لئن قربت بعد البعاد مزارها

وله في ذلك:

أراجعة تلك الليالي كعهدها إلى الوصل أم لا يرتجى لي رجوعها?
وصحبة أحباب لبست لفقدهم ثياب حدادٍ يستجد خليعها
إذا لاح لي من نحو بغداد بارق تجافت جفوني واستطير هجوعها?
وإن أخلفتها الغاديات رعودها? تكلف تصديق الغمام دموعها
سق جانبي بغداد كل غمامة يحاكي دموع المستهام هموعها
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت لواحظها ألا يداوى صريعها
بها تسكن النفس بانس من قلب المقيم النفور ويغتدى نزيعها
يحن إليها كل قلب كأنما يشاد بحبات القلوب ربوعها
فكل ليالي عيشها زمن الصبا وكل فصول الدهر فيها ربيعها

وله في ذلك:

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن لولا التجمل لم أنفك أندبه
وصاحبٍ ما صحبت الصبر مذ بعدت ديارة وأراني لست أصحبه
في كل يومٍ لعيني ما يؤرقها من ذكره ولقلبي ما يعذبه
ما زال يبعدني عنه وأتبعه ويستمر على ظلمي وأعتبه
حتى أوت لي النوى من طول جفوته وسهلت لي سبيلاً كنت أرهبه
وما البعاد دهاني بل ولا الفراق شجاني بل

خـلائقـه تـجـنـبـه

وله في التخلص:

أو ما انثنيت عن الوداع بلوعة ملأت حشاك صبابةً وغليلا?

ومدامعٍ تجري آماقهن بنـان فتحسب أن في اسـمـاعـيلا

وله من قصيدةٍ في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير:

ولما تداعت للغروب شموسهم وقمنا لتوديع الفريق المغرب

تلقين أطراف السجوف بمشرقٍ لهن وأعطاف الخدور بمغرب

فما سرن إلا بين دمعٍ مضـيعٍ ولاقمن إلا بين قلبٍ مـعـذب

كأن فؤادي قرن قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المـتـأشـب

وله في الصاحب من قصيدةٍ:

وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي على نفس محزونٍ وقلب كـئيب

تقسمنـي الأيام قـسـمة جـائرٍ على نضرةٍ من حالها وشحـوب

كأني في كـف الـوزير رغـيبة تقسم في جدوى أغـر وهـوب

وله من قصيدةٍ في الصاحب:

ولا ذنب للأفكار أنت تركتهـا إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها

سبقت بأفراد خواطرك الألفاظ بعد المعاني وألـفـت شرادها

وإن نحن حاولنا حصلنا على اختراع بـديعةٍ مسروقها ومعادها

وله في الصاحب من قصيدة يهنئه بالبرء من المرض:

بك الدهر يبـدي ظـلـه ويقلع عـمـا سـاءنـا ويطـيب ويتـوب

ونحمد آثـار الـزمـان ظللنا وأوقات وربـمـا الـزمـان ذنـوب

أفي كل يومٍ لها في قلوب لـلـمـكـارم روعة المكرمات وجـيب?

تقسمت العلياء فمن أين فيه
جسمك كله للسقام نصيب؟
إذا ألمت نفس الوزير لها أنفس تحيا بها
تألمت وقلوب
ووالله لا لاحظت حياتي وفي وجه
وجهاً أحبه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه ولكنه في
بوجهه المكرمات ندوب
فلا تجزعن تلك وعما قليل تبتدي
السماء تغيمت فتصوب
تهلل وجه المجد وأصبح غصن الفضل
وابتسم الندى وهو رطيب
فلا زالت الدنيا ولازال فيها من
بملكك طلقة ظلالك طيب

وله:

على مهجتي تجني فأما اصطباري فهو
الحوادث والدهر ممتنع وعر

كأني ألاقي كل يوم بذنبٍ وما ذنبي سوى
ينوبني أنني حر
فإن لم يكن عند أضيق به ذرعاً فعندي
الزمان سوى الذي له الصبر
وقالوا: توصل وماعلموا أن الخضوع
بالخضوع إلى الغنى هو الفقر
وبيني وبين المال على الغنى: نفسي
بابان حرما الأبية والدهر
إذا قيل: هذا اليسر مواقف خير من
عاينت دونه وقوفي بها العسر
إذا قدموا بالوفر بنفس فقيرٍ كل
قدمت قبلهم أخلاقه وفر
وما إذا على مثلي إذا مطامعه في كف من
خضعت له حصل التبر

وله:

سقى الغيث أو دمعي لها أربعاً، جور الهوى
وقل كلاهما بينها عدل

بحيث استرق الدعص وحيث تناهت الحقف
وأنبسط النقى وانقطع الرمل
أكثر من أوصافها ولكن أرى أسماءها في
وهي واحد فمي تحلو
وفي ذلك الخدر لكل فؤادٍ عند
المكلل ظبية أجفانها ذحل
إذا خطرات الريح بين أباحت لطرف العين ما
سجوفها حظر البخل
تلقت بأثناء النصيف وقالت لأخرى: ما
لحاظنا لمستهترٍ عقل?
أفي مثل هذا اليوم وأعداؤنا حول
يمرح طرفه وحسادنا قبل?
ومدت لإسبال فغازلنا عنها الشمائل
السجوف بنانها والشكل

علي بن عبد العزيز بن إبراهيم

ابن بناء بن حاجب النعمان، أبو الحسن. قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه، وله ديوان شعر كبير الحجم، وكان أبوه يكتب لأبي محمدٍ المهلبي وزير معز الدولة، وكتب أبو الحسن للطائع لله، ثم للقادر بالله بعده في شوالٍ سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وخوطب برئيس الرؤساء، وخدم خليفتين أربعين سنةً، ومولده سنة أربعين وثلاثمائةٍ، ومات في رجبٍ سنة ثلاثٍ وعشرين وأربعمائةٍ، وولى ابنه أبوالفضل مكانه فلم يسد مسده فعزل بعد شهورٍ.

وحدث ابن نصرٍ قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن عيسى الشاعر المعروف بحمدية قال: لما قبض القادر بالله على أبي الحسن بن حاجب النعمان واستكتب أبا العلاء ابن تريكٍ وهي النظر وقل رونقه، واتفق أن دخل يوماً إلى الديوان فوجد على مخاده قطعةً من عذرةٍ يابسةٍ، فانخزل وتلاشى أمره فقبض عليه وأعيد أبو الحسن إلى رتبته، وكانت بيني وبين أبي العلاء من قبل مماظة في بعض الأمور، فامتدحت أبا الحسن بقصيدةٍ أولها:

زمت ركائبهم فاستشعر التلف

حتى بلغت منها إلى قولي:

يا من إذا ما رآه الدهر وظل معتذراً مما
سألمه جنى وهفا
قد رام غيرك هذا فما استطاع له جريا
الطرف يركبه بلى وقفا
لم يرجع الطرف عنه حتر رأينا على دستٍ
من تبظرمه له طرفا

فدفع إلى صورة عنقاء فضةً مذهبةً كانت بين يديه فيها طيب وقال: خذ هذه الطرفة فإنها أطرف من طرفتك. وقرأ في المفاوضة: حدثني الوزير أبو

العباس عيسى ابن ماسرجيس قال: كنت أخلف الوزارة ببغداد مشاركاً لأبي الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان، فدعاني يوما إلى داره ببركة زلزل وتجمل واحتشد ودعا بكل من يشار إليه بحذق في الغناء من رجالٍ وإماءٍ مثل علية الخاقانية وغيرها من نظرائها في الوقت، وحضر القاضي أبو بكر بن الأزرق نسيبه وانتقلنا من الطعام إلى مجلس الشراب، فلما دارت الكأس أدواراً قال لي: ما أراك تحلف على القاضي ليشرب معنا ويساعدنا وإن كان لا يشرب إلا قارصاً. قلت: أنا غريب ومحتشم له وأمره بك أمس وأنت به أخص. قال: فاستدعى غلاماً وقال: امض إلى إسحاق الواسطى واستدع منه قارصاً وتول خدمة القاضي - أيده الله - فمضى الغلام وغاب ساعةً ثم أتى ومعه خماسية فيها من الشراب الصريفيني الذي بين أيدينا إلا أن على رأسها كاغداً وختماً وسطراً فيه مكتوب: قارص من دكان إسحاق الواسطي. قال: فتأمله القاضي وأبصر الخط والختم ثم أمر فسقى رطلاً، فلما شربه واستوفاه قال للغلام: ويلك ما هذا؟ قال: يا سيدي هذا قارص. قال لا، بل والله الخالص، ثم ثنى له وثلث، فاضطرب أمر القاضي علينا وأنشأ يقول:

ألا فاسقني الصهباء ولاتسقني خمراً
من حلب الكرم بعلمك أوعلمـي
أليست لها أسماء ألا فاسقنيها واكن
شتـى كـثـيرة عن ذلك الإسـم

فكان كلما أتاه بالقدح سأله عنه فيقول تارةً: مدام، وتارةً خندريس وهويشرب، فإذا قال له: خمر حرد واستخف به فيتوارى بالقدح ساعةً ثم يعيده ويقول: هذه قهوة فيشرب به، فلم يشرب القاضي إلا بمقدار ستة أسماءٍ أو سبعةٍ من أسماء الخمر حتى انبطح في المجلس ولف في طيلسان أزرق عليه وحمل إلى داره.

علي بن عبد الغني الأندلسي

القروي الحصري الأندلسي قال صاحب كتاب فرحة الأنفس: - وهو محمد بن أيوب بن غالبٍ الغرناطي - يكنى أبا الحسن، كان من أهل العلم بالنحو وشاعراً مشهوراً وكان ضريراً، طاف الأندلس ومدح ملوكها، فمن ذلك قوله للمعتمد بن عبادٍ عند موت أبيه المعتضد أبي عمرو وعباد بن محمدٍ:

مات عباد ولكـن بقي النجل الكريم

فكأن الميت حـي غير أن الضاد ميم

ومدح بعض الملوك الأندلس فغفل عنه إلى أن حفزه الرحيل فدخل عليه وأنشده:

محبتي تقتـضـي وحالتي تقتضي ودادي الرحـيلا
هذان خصمان لست بينهما خـوف أن أقضي أمـيلا
ولا يزالان في اختـصـامٍ حتى ترى رأيك الجمـيلا

ودخل على المعتصم محمد بن معن بن صمادح فأنشده قصيدةً، فلما انصرف تكلم المعتصم في أمره مع وزرائه وكتابه ليرى رأيهم فيه، فنقل إليه عن الكاتب أبي الأصبغ بن أرقم كلام أحفظه، فانصرف ودخل علي ابن صمادحٍ وأنشده:

يأيها السيد المـعـظـم لاتطع الكاتب ابن أرقم
لأنـه حـية وتـدري مافعلـت بـأبـيك آدم

وحكى أبو العباس البلنسي الأعمى أيضاً عنه وكان من تلاميذه، وهذان البيتان متنازعان بينهما لا أدرى لمن منهما?

وقالوا: قد عميت وإني اليوم أبصر من بصير فقلت: كلا
سواد العين زاد سواد قلبـي ليجتمعا على فهم الأمـور

وذكره الحميدي وقال: دخل الأندلس بعد الخمسين وأربعمائةٍ وأنشدني بعضهم له:

ولما تمايل من سكره ونام دببت لأعجـازه فقال ومن ذا? فجاوبته عم يستدل بعـكـازه

علي بن أبي طالب

أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وسلامه - - واسم أبي طالب عبد مناف - بن عبد المطلب، - واسم عبد المطلب عامر وهو شيبة الحمد لقب له - بن هشام - واسمه عمرو - بن عبد مناف - وهو المغيرة - بن قصي - واسمه زيد - بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

أخباره عليه السلام كثيرة، وفضائله شهيرة، إن تصدينا لاستيعابها وانتخاب محاسنها كانت أكبر حجماً من جميع كتابنا هذا. مات صلوات الله عليه يوم الجمعة لسبع عشرة ليلةً خلت من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، ومدة عمره فيها خلاف على ما نذكره فيما بعد، ولا بد من ذكر جملٍ من أمره على سبيل التاريخ يستدل بها على مجاري أموره، ونتبعها بذكر ولده ومن أعقب منهم ومن لم يعقب، وذكر شيء مما صح من شعره وحكمه.

وكان عليه السلام أول من وضع النحو وسن العربية، وذلك أنه مر برجل يقرأ:)إن الله بريء من المشركين ورسوله(بكسر اللام في رسوله، فوضع النحو وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي، وقد استوفينا خبر ذلك في باب أبي الأسود.

قرأت بخط أبي منصورٍ محمد بن أحمد الأزهري اللغوي في كتاب التهذيب له: قال أبو

عثمان المازني: لم يصح عندنا أن علي بن أبي طالب عليه السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين:

تلكم قريش تمناني لتقتـلـنـي ولا وجدك ما بروا ولا ظفروا

فإن هلكت فرهن ذمتي لهـم بذات روقين لا يعفو لها أثـر

قال: ويقال: داهية ذات روقين، وذات ودقين: إذا كانت عظيمةً. كان قد بويع له يوم قتل عثمان بن عفان رضي اله عنه، ثم كانت وقعة الجمل بعد ذلك بخمسة أشهرٍ وأحدٍ وعشرين يوماً، وعدة من قتل في وقعة الجمل ثمانية آلاف، منهم من الأزد خاصةً أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس وقيل: أقل من ذلك. ومن أصحاب عليٍ صلوات الله عليه نحو ألفٍ. وكانت الوقعة لعشرٍ خلون من جمادى الأولى سنة ستٍ وثلاثين، وكان بين وقعة الجمل والتقائه مع معاوية بصفين سبعة أشهرٍ وثلاثة عشر يوماً، وكان أول يوم وقعت الحرب بينهم بصفين غرة صفرٍ سنة سبعٍ وثلاثين، واختلف في عدة أصحابهما فقيل: كن علي في تسعين ألفاً، وكان معاوية في مائةٍ وعشرين ألفاً، وقيل: كان معاوية في تسعين ألفاً، وعلي عليه السلام في مائةٍ وعشرين ألفاً، منهم خمسة وعشرون من الصحابة، وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً. وقيل: غير ذلك، وكان الماقم بصفين مائة يومٍ وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعةً، وبين وقعة صفين والتقاء الحكمين وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل خمسة أشهرٍ وأربعة وعشرون يوماً، وبين التقائهما وخروج علي عليه السلام إلى الخوارج بنهروان وقتله إياهم سنة وشهران، وكان الخوارج أربعة آلافٍ عليهم عبد الله بن وهبٍ الراسبي من الأزد، وليس براسب بن جرم بن ريان، وليس في العرب غيرهما، فلما نزل علي عليه السلام تفرقوا فبقي منهم ألف وثمانمائةٍ، وقيل: ألف وخمسمائةٍ، فقتلوا إلا نفراً يسيراً، وكان سبب تفرق الخوارج عنه، أنهم تنازعوا عند الإحاطة بهم فقالوا: أسرعوا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهبٍ ولعلها إلى النار،

فقال: من فارقه، ترانا نقاتل مع رجلٍ شاكٍ. وبين خروجه إلى الخوارج وقتل ابن ملجمٍ له لعنه الله تعالى سنة وخمسة أشهرٍ وخمسة أيام.
واختلف في مدة عمره، فقال قوم: إنه استشهد وله ثمان وستون سنةً في قول من يذهب إلى أنه أسلم وله خمس عشرة سنةً، وقيل: ست وستون وهو قول من يذهب إلى أنه أسلم وله ثلاث عشرة سنةً، وقيل: ثلاث وستون وهو قول من يرى أنه أسلم وله عشر سنين، وقيل: ثمان وخمسون وهو قول من زعم أنه أسلم وله خمس سنين، وهذا أقل ما قيل في مقدار عمره.
واختلف في موضع قبره، فقيل: بالفرى وهو الموضع المشهور اليوم، وقيل: بمسجد الكوفة، وقيل: برحبة القصر بها وقيل: حمل إلى المدينة فدفن مع فاطمة صلوات الله عليها وسلامه، وكان أسمر عظيم البطن أصلع أبيض الرأس واللحية، أدعج عظيم العينين، ليس بالطويل ولا القصير، تملأ لحيته صدره، ولا يغير شيبه، وكان له من البنين أحد عشر، الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية - وأمه خولة بنت جعفر سبية - وعمر - أمه أم حبيبٍ الصهباء بنت ربيعة تغلبية -، والعباس - أمه أم البنين بنت خزام بن خالدٍ من بني عامر بن صعصعة -، وعبد الله يكنى أبا بكرٍ، وعثمان وجعفر ومحمد الأصغر، وقيل: هو الذي يكنى أبا بكرٍ، وعبيد الله ويحيى.
المعقبون منهم خمسة: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس عليهم السلام. وله من البنات ست عشرة: منهن زينب وأم كلثومٍ التي تزوجها عمر بن الخطاب، وأمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهما وسلم، فالعقب للحسن بن علي عليهما السلام من زيد والحسن، والعقب لزيدٍ من الحسن بن زيدٍ، والعقب للحسن بن الحسن من جعفرٍ وداود وعبد الله والحسن وابراهيم. والعقب لمحمد بن الحنفية من جعفرٍ وعليٍ وعونٍ وابراهيم، والعقب لجعفر بن محمدٍ من عبد الله، ولعلى بن محمدٍ من عونٍ، ولعون بن محمدٍ ولإبراهيم بن محمدٍ.
فأما أبو هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحنفيه وهو أكبر ولده، فقد ظن قوم أنه أعقب وليس الأمر كذلك.

والعقب لمحمد بن علي بن أبي طالب من محمد ابن عمر، والعقب لمحمد بن عمر لعمر وعبد الله وجعفرٍ. والعقب للعباس من عبيد الله بن العباس، والعقب لعبيد الله من الحسين وعبد الله عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

ومما يروى أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ عليه السلام: إن لي فضائل، كان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخال المؤمنين وكاتب الوحي. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أبالفضائل تفتخر علي يا ابن آكلة الأكباد؟ اكتب إليه يا غلام:

محمد النبي أخي وصهـري
وحمزة سيد الشهداء عمـي
وجعفر الذي يضحي ويمسي
يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمدٍ سكني وعرسي
مشوب لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمدٍ ولداي منـهـا
فأيكم له سهم كسهـمـي؟
سبقتكم إلى الإسـلام طـراً
صغيراً ما بلغت أوان حلمي

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالبٍ.

قرأت في كتاب الأمالي لأبي القاسم الزجاج قال: حدثنا أبو جعفرٍ أحمد بن محمد بن رستم الطبري صاحب أبي عثمان المازني قال: حدثنا أبو حاتمٍ السجستاني عن يعقوب بن إسحاق الخضري قال: حدثنا سعيد بن سلمٍ الباهلي قال: حدثني أبي عن جدي عن أبي الأسود الدؤلي، أو قال: عن جدي عن ابن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فرأيته مطرقاً مفكراً فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه

اللغة، ثم أتيته بعد أيامٍ فألقى إلى صحيفةً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلام كله اسم وفعل وحرف، والاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعلٍ. ثم قال لي: تتبعته وزد فيه ما وقع لك، واعلَم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ. قال: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه وكان من ذلك حروف النصب، فكان منها إن وأن وليت ولعل وكأن ولم أذكر لكن. فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بل هي منها فزدها فيها. قال: أبو القاسم: قوله عليه السلام: الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ، فالظاهر رجل وفرس وزيد وعمرو وما أشبه ذلك، والمضمر نحو، أنا وأنت والتاء في فعلت والياء في غلامي والكاف في ثوبك وما أشبه ذلك. وأما الشيء الذي ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ فالمبهم، نحو هذا وهذه وهاتا وتا ومن وما والذي وأيٍ وكم ومتى وأين وما أشبه ذلك.

علي بن عبد الملك بن العباس القزويني

أبو طالبٍ النحوي، كان أبوه أبو علي عبد الملك من أهل العلم ورواة الحديث، وسمع أبو طالبٍ جماعةً منهم: مهروية، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان. قال الخليلي: وهو إمام في شانه قرانا عليه وأخذ عنه الخلق، ومات في آخر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائةٍ. وخلف أولاداً صغاراً اشتغلوا بما لا يعنيهم فقتلوا. وأخوه أبو الحسن علي سمع الحديث لكنه كان كاتباً فلم يسمع منه. وأبو علي ابنه سمع الحديث وقرأ الفقه، ثم اشتغل بالكتابة فمات في الغربة وقد انقطع نسله.

علي بن عبيدة الريحاني

أحد البلغاء الفصحاء، من الناس من يفضله على الجاحظ، في البلاغة وحسن التصنيف مات - أخلي مكانه - وكان له اختصاص بالمأمون ويسلك في تأليفاته وتصنيفاته طريقة الحكمة، وكان يرمى بالزندقة، وله مع المأمون أخبار منها: أنه كان بحضرة المأمون فجمش غلاما فرآهما المأمون فأحب أن يعلم هل علم علي أم لا؟ فقال له: أرأيت؟ فأشار علي بيده وفرق أصابعه أي خمسة وتصحيف خمسةٍ جمشة، وغير ذلك من الأخبار المتعلقة بالفطنة والذكاء.

وقال جحظة في أماليه: حدثني أبو حرملة قال: قال علي بن عبيدة الريحاني: حضرني ثلاثة تلاميذ لي فجرى لي كلام حسن فقال أحدهم: حق هذا الكلام أن يكتب بالغوالي على خدود الغواني. وقال الآخر: بل حقه إن يكتب بانامل الحور على النور. وقال

الآخر: بل حقه أن يكتب بقلم الشكر في ورق النعم. ومن مستحسن أخباره المطربة أنه قال: أتيت باب الحسن ابن سهلٍ فأقمت ببابه ثلاثة أشهرٍ لا أحظى منه بطائلٍ فكتبت إليه:

مدحت ابن سهل ذا الأيادي وماله وما ذنبه والنـاس إلا أقـلـهـم سأحمده للناس حـتـى إذا بـدا بذاك يد عندي ولا قـدم بـعـد عيال له إن كان لم يك لي جـد له في رأي عاد لي ذلك الحمد

فبعث إلى: - باب السلطان يحتاج إلى ثلاث خلالٍ: مالٍ وعقلٍ وصبرٍ - فقلت للواسطة: تؤدي عني؟ قلت تقول له: ولو كان لي مالي لأغناني عن الطلب منك، أو صبر لصبرت على الذل ببابك، أو عقل لاستدللت به على النزاهة عن رفدك، فأمر لي بثلاثين ألف درهم. قرأت بخط أبي الفضل العباس بن علي بن بردٍ الخباز: أخبرني أبو الفضل أحمد بن طاهرٍ قال: كنت في مجلس بعض أصدقائي يوماً وكان معي علي بن عبيدة الريحاني في المجلس، وفي المجلس جارية كان علي يحبها فجاء وقت الظهر فقمنا إلى الصلاه وعلي والجارية في الحديث فأطال حتى كادت الصلاه تفوت، فقلت له يا أبا الحسن: قم إلى الصلاه فأومأ بيده إلى الجارية وقال: حتى تغرب الشمس، أي حتى تقوم الجارية. قال: فجعلت أتعجب من حسن جوابه وسرعته وكنايته. وله من الكتب: كتاب المصون، كتاب التدرج، كتاب رائد الرد، كتاب المخاطب، كتاب الطارف، كتاب الهاشمي، كتاب الناشئ، كتاب الموشح، كتاب الجد، كتاب شمل الألفة، كتاب الزمام، كتاب المتحلي، كتاب الصبر، كتاب سباريها، كتاب مهرزاد خشيش، كتاب صفة الدنيا، كتاب روشنائدل، كتاب سفر الجنة، كتاب الأنواع، كتاب الوشيج، كتاب العقل والجمال، كتاب أديب جوانشير، كتاب شرح الهوى، كتاب الطارس، كتاب المسجى، كتاب أخلاق هارون، كتاب الأسنان، كتاب الخطب، كتاب الناجم، كتاب صفة الفرس، كتاب النبيه، كتاب المشاكل، كتاب فضائل إسحاق، كتاب صفة الموت، كتاب السمع والبصر، كتاب اليأس والرجاء، كتاب صفة العلماء، كتاب أنيس الملك، كتاب المؤمل والمهيب، كتاب ورودٍ وودودٍ

الملكتين، كتاب النملة والبعوضة، كتاب المعاقبات، كتاب مدح النديم، كتاب الجمل، كتاب خطب المنابر، كتاب النكاح، كتاب الإيقاع، كتاب الأوصاف، كتاب امتحان الدهر، كتاب الأجواد، كتاب المجالسات، كتاب المنادمات.

قال: سأل المأمون يحيى بن أكثم وثمامة بن أشرس وعلي بن عبيدة الريحاني عن العشق ما هو؟ فقال علي بن عبيدة الريحاني عن العشق ما هو؟ فقال علي بن عبيدة: العشق ارتياح في الخلقة، وفكرة تجول في الروح، وسرور منشؤه الخواطر، له مستقر غامض، ومحل لطيف المسالك، يتصل بأجزاء القوى، ينساب في الحركات. وقال يحيى: العشق سوانح تسنح للمرء فيهتم لها ويؤثرها. قال ثمامة: يا يحيى، إنما عليك أن تجيب في مسألةٍ في الطلاق أو عن محرم يصطاد ظبياً، وأما هذه فمسألتنا. قال له المأمون: فما العشق يا ثمامة؟ فقال: إذا تقادمت جواهر النفوس بوصف الشكالة أحدثت لمع برقٍ ساطعٍ تستضيء به نواظر العقول، وتشرق له طبائع الحياه فيتولد من ذلك البرق نور خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى عشقاً. قال المأمون: يا ثمامة أحسنت، وأمر له بآلاف دينارٍ.

علي بن عبيد الله بن الدقاق

أبو القاسم الدقيقي النحوي. أحد الأئمة العلماء هذا الشان، أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي سعيدٍ السيرافي وأبي الحسن الرماني، وكان مباركاً في التعليم، تخرج عليه خلق كثير لحسن خلقه وسجاحة سيرته، وكان مولده سنة خمسٍ وأربعين وثلاثمائة، ومات فيما ذكره هلال ابن المحسن في تاريخه، في سنة خمس عشرة وأربعمائةٍ. وله تصانيف منها: كتاب شرح الإيضاح رأيته منسوباً إليه، وأنا أظنه شرح علي بن عبيد الله السمسمي لأنه محشو بقوله: قال السمسماني. وما أدري الدقاق ممن أخذ عن السمسماني وهو أكبر سناً منه، ومشايخهما ووفاتهما واحدة، ولكن اشتبه الأسم فنسب إلى هذا لشهرته بالنحو. وللدقيقي أيضاً كتب شرح الجرمي كتاب العروض رأيته، كتاب المقدمات.

وذكر القاضي أبو المحاسن بن مسعرٍ قال: أبو القاسم

علي بن عبيد الله الدقيقي صاحب أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، قرأ عليه كتاب سيبويه قراءة تفهمٍ، وأخذ بذلك خطه عليه وأنتفع الناس به، وعنه أخذت، وعلى روايته عولت.

علي بن عبيد الله السمسمي

أبو الحسن اللغوي النحوي. كان جيد المعرفة بفنون علم العربية، صحيح الخط غايةً في إتقان الضبط، قرأ على أبي عليٍ الفارسي وأبي سعيدٍ السيرافي. وكان ثقةً في روايته، مات في المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائةٍ في خلافة القادر بالله. حدث ابن نصرٍ قال: حدثني الشيخ أبو القاسم بن برهان النحوي قالً: قال لنا أبو الحسن السمسمي - وقد سأله رجل مسألةً من مسائل النوكي - وحضر مجلس أبي عبيدة رجل فقال: - رحمك الله - أبا عبيدة ما العنجيد؟ قال: - رحمك الله - ما أعرف هذا، قال: سبحان الله أين يذهب عن قول الأعشى?:

يوم تبدى لنا قتيله عن جي ... دٍ تليعٍ يزينه الأطـواق

فقال: - عافاك الله - عن حرف جاء لمعنىً. والجيد: العنق. ثم قام آخر في المجلس فقال: أبا عبيدة - رحمك الله - ما الأودع? قال: - عافاك الله - ما أعرفه. قال: سبحان الله أين أنت عن قول العرب زاحم بعودٍ أودع? فقال: ويحك، هاتان كلمتان. والمعنى أو اترك أو ذر، ثم استغفر الله وجعل يدرس فقام رجل فقال: - رحمك الله - أخبرني عن كوفا، أمن المهاجرين أم من الأنصار? قال: قد رويت أنساب الجميع وأسماؤهم ولست أعرف فيهم كوفا. قال: فأين أنت عن قوله تعالى?:)والهدى معكوفاً(. قال: فأخذ أبو عبيدة نعليه واشتد ساعياً في مسجد البصرة يصيح بأعلى صوته: من أين حشرت البهائم على اليوم?. ورأيت جماعةً من أهل العلم يزعمون أن النسبة إلى السمسمي والسمسماني واحد يقال هذا ويقال هذا. وكان أبو الحسن هذا مليح الخط صحيح الضبط حجةً فيما يكتبه، ومن هذا البيت جماعة كتاب مجيدون نذكر منهم في مواضعهم من يقع إلينا حسب الطاقة.

وحدث غرس النعمة بن الصابئ في كتاب الهفوات قال: كان أبو الحسن السمسماني متطيراً فخرج يوم عيدٍ من داره فلقيه بعض الناس فقال له مهنئاً: عرف الله سيدنا الشيخ بركة هذا اليوم فقال: وإياك يا سيدي، وعاد فأغلق بابه ولم يخرج يومه. وجدت في بعض الكتب هذه الأبيات المنسوبة إلى أبي الحسن السمسمي:

دع مقلتي تبكي عليك بأربع ... إن البكاء شفاء قلب الموجع

ودع الدموع تكف جفني في الهوى ... من غاب عنه حبيبه لم يهجع

ولقد بكيت عليك حتى رق لي ... من كان فيك يلومني وبكى معي

ووجدت بخط أبي الحسن السمسماني على ظهر كتاب المزني صاحب الشافعي رحمهما الله أنه كان كثيراً ما يتمثل:

يصون الفتى أثوابه ونفسك أحرى يا فتى
حذر الـبـلـى لو تصونـهـا
فمن ذاك الذي يرعاك لنفسك إكراماً وأنت
بالغيب أو يرى تـهـيـنـهـا؟

قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب النحوي، أنشدنا أبو بكر الخطيب، أنشدنا علي بن عبيد الله السمسمي النحوي:

أترى الجـيرة الـذين بكرةً للنزال قـبـل
تـنـادوا الـزوال؟
علموا أنني مـقـيم معهم راحل أمام
وقـلـبـي الـجـمـال
مثل صاع العزيز في م ولا يعلمون ما في
أرحل القو الرحـال

علي بن عساكر بن المرحب

أبو الحسن المقرىء النحوي، المعروف بالبطائحي الضرير. كان يزعم أنه من عبد القيس، وهو من قريةٍ من قرى البطائح تعرف بالمحمدية قريبةٍ من الصليق، مات ببغداد في ثامن عشر من شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائةٍ، ومولده سنة تسعٍ وأربعمائةٍ، وكان قد قدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته، وقرأ القران على أبي العز القلانسي الواسطي، وأبي عبد الله البارع بن الدباس، وأبي بكر بن المرزقي، وأبي محمد ابن بنت الشيخ. وقرأ النحو على البارع وغيره، وسمع الحديث من جماعةٍ. وأقرأ الناس مدةً وحدث الكثير، وكان ثقةً مأموناً. قال صدقة بن الحسين بن الحداد في تاريخه: كان سبب وفاة البطائحي أنه ظهر به باصور مما يلي تحت كتفه فبقي به مدةً طويلةً ينز إلى خارج البدن، ثم انفتح إلى باطنه فهلك به، وأوصى لطغندي صاحبه الذي كان يقرأ عليه الحديث ويقربه من جهة النساء بثلث ماله، ووقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر الجليلي، وخلف مقدار أربعمائة دينارٍ وداراً في دار الخلافة

علي بن علي

أبو الحسن البرقي. قال الحافظ أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي: في ربيعٍ الأول سنة اثنتين وعشرين

وخمسمائةٍ مات علي بن عليٍ أبو الحسن البرقي النحوي الشاعر، ولم يذكر غير ذلك

علي بن عراقٍ الصناري

أبو الحسن الخوارزمي، مات سنة تسعٍ وثلاثين وخمسمائةٍ بمذانة قريةٍ من قرى خوارزم، ذكر ذلك أبو محمد محمود بن محمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم وقال: كان نحوياً لغوياً عروضياً فقيهاً مفسراً مذكوراً، قرأ الأدب على الشيخ أبي عليٍ الضرير النيسابوري، والفقه بخوارزم على الإمام أبي عبد الله الوبري، ثم ارتحل في الفقه إلى بخارى فتفقه بها على مشايخها، ثم عاد إلى جرجانية خوارزم فتكلم في مسائل مع أئمتها، ثم تحول إلى قرية مذانة وتوطنها، وكان يعظ في المسجد الجامع بها غداة الجمعة وكان يحفظ اللغات الغريبة والأشعار العويصة، وصنف كتاب شماريخ الدرر في تفسير القران، ولما فرغ منه كتب في آخره:

فرغنا من كتابته عـشـيـاً وكان الله في عوني ولـيـاً
وقد أدرجته نكتاً حسـانـاً ومعنى يشبه الرطب الجنيا

قال: وقرأت بخط أبي عمرو البقال: كان من لطائف الصناري إذا نام واحد من أهل الرستاق في مجلسه ناداه من على المنبر بأعلى صوته: يأيها التيس المذاني، أترك المنام واسمع الكلام، ثم ينشده:

وصاحب نبهته لـيـنـهـضـا إذا الكرى في عينه تمضمضا
فقام عجلان ومـا تـأرضـا وثم بالكفين وجهـاً أبـيضـا

ثم يقول تمضمض من النعاس: إذا دب في عينيه، ومنه المضمضة في الوضوء، سميت بذلك لأن الغاسل يمضمض الماء في فمه: أي يديره ويجريه فيه

علي بن عيسى أبو الحسن الصائغ

النحوي الرامهرمزي، قال القاضي أبو علي التنوخي: حدثني أبو عمر أحمد بن محمد بن حفص الخلال قال: كان أبو الحسن الصائغ النحوي الرامهرمزي واسع العلم والأدب مليح الشعر، وهوصاحب القصيدة التي أولها - من الأصل - وفيها تجوز كثير وأمر بخلاف الجميل قالها على طريق التخالع والتطايبب، وكان صالحاً معتقداً للحق لا عن اتساعٍ في العلم - يعني علم الكلام - ولكنه كان واسع المعرفة بالنحو واللغة والأدب، وأبو الحسن الصائغ هذا هو أستاذ أبي هاشم بن أبي بكر المبرمان في النحو، قرأ عليه

لما ورد بالبصرة واستفاد منه حتى بلغ أعلى مراتب النحو حتى قال ابن درستوية: اجتمعت مع أبي هاشمٍ فألقى إلي بمائتي مسألةٍ من غريب النحو ما سمعت بها قط ولا كنت أحفظ جوابها، وقد ذكرت قصته مع أبي هاشم بكمالها في ترجمة أبي هاشمٍ عبد السلام.

وقال أبو عمر الخلال: أنفذ بي الصيدلاني أبو عبد الرحمن المعتزلي غلام أبي عليٍ الجبائي إلى أبي الحسن الرامهرمزي وقال لي: قل له: إني قرأت البارحة في كتاب شيخنا أبي عليٍ في تفسير القران في قوله تعالى:)وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً(أي بينا لكل نبي عدوه، فجعل جعل بمعنى بين. ولست أعرف هذا في اللغة، فاحفظ جوابه وجئني به. قال: فجئت إلى أبي الحسن فأخبرته بذلك عن عبد الرحمن فقال: نعم، هذا معروف في لغة العرب. وقد قال العريفي العنسي - بالنون -:

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا على ثبتٍ من أمرهم حيث يمموا

قال: فعدت إلى عبد الرحمن فعرفته ذلك. - قلت هكذا وجدت هذا الخبر، والكلمة المسئول عنها غير مبينةٍ، فمن عرفها وكان من أهل العلم فله أن يصلحها -.

وقال أبو محمدٍ عبيد الله بن أبي القاسم عبد المجيد ابن بشران الخوزستاني: وفي سنة اثنتي عشرة وثلاثمائةٍ مات أبو الحسن علي بن عيسى الصائغ الرامهرمزي الشاعر، وقد كان شخص إلى ابراهيم المسمعي، ثم عدل إلى دركٍ بسيراف، فخرج مع دركٍ في هيجٍ كان من العامة بها، وقد رموه بالمقاليع فأصاب علي بن عيسى حجر فهلك، وكان شاعراً عالماً. فمن شعره:

سهادى غير مفقـود ونومي غير موجود

وجرى الدمع في الخد كنظم الدر في الجيد

لفعل الشيب في اللـم مة لا للخرد الغـيد

لقد صار بي الشـيب إلى لومٍ وتـفـنـيد

وما المرء إذا شـاب لديهـن بـمــودود

وهي طويلة مدح فيها أهل البيت وكان لهم مداحاً.

علي بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن الوزير. كانت منزلته من الرياسة ومعرفته بالعدل والسياسة تجل عن وصفها، ومن حسن الصناعة والكفاية ما هو مشهور مذكور، وزر للمقتدر بالله دفعتين، ومات في ليلة اليوم الذي عبر معز الدولة في صبيحته إلى بغداد، وهو يوم الجمعة انتصاف الليل من سلخ ذي الحجة سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ، ودفن في داره وعمره تسع وثمانون سنةً ونصف، وحم يوماً واحداً، ومولده في جمادى الآخرة سنة خمسٍ وأربعين ومائتين، وله كتاب جامع الدعاء، كتاب معاني القران وتفسيره، أعانه عليه أبو الحسين الواسطي وأبو بكر بن مجاهدٍ، كتاب رسائله. كان تقلده للوزارة الأولى في المحرم سنة إحدى وثلاثمائةٍ،

وبقي فيها أربع سنين غير شهرٍ، والأخرى في صفرٍ سنة خمس عشرة وثلاثمائةٍ، وبقي فيها سنةً وأربعةَ أشهرٍ ويومين، وكان يستغل ضياعة في السنة بسبعمائة ألف دينارٍ، يخرج منها في وجوه البرستين وستمائة ألف دينارٍ، وينفق أربعين ألف دينارٍ على خاصته، وكانت غلته عند عطلته ولزومه بيته نيفاً وثمانين ألف دينارٍ، يخرج منها في وجوه البر نيفاً وأربعين ألفاً، وينفق ثلاثين ألفاً على نفسه، وكان يرتفع لابن الفرات وهو متعطل ألف ألف دينارٍ. قال: الصولي ولا أعلم أنه وزر لبنى العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وحفظه للقران وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله.

قال الصولي: ولا أعلم أنني خاطبت أحداً أعرف منه بالشعر، وكان يوقع بيده في جميع ما يحتاج إليه مما كان يوقع فيه أصحاب الدواوين في وزارته، فسألت أبا العباس أحمد بن طومار الهاشمي عن السبب فقال: قد اقتصر في نفقته وأجرى الفاضل على أولاد الصحابة بالمدينة، وجلس للمظالم فأنصف الناس وأخذ للضعيف من القوي، وتناصف الناس بينهم، ولم يروا أعف بطناً ولساناً وفرجاً منه، ولما عزل في وزارته الثانية وولى ابن الفرات لم يقنع المحسن ابن ابي الحسن بن الفرات إلا بإخراجه عن بغداد، فخرج إلى مكة فأقام بها مهاجراً وقال في نكبته:

ومن يك عني سائلاً لما نابني أو شامتاً غير سائل
لشماتةٍ فقد أبرزت مني صبوراً على أهوال
الخطوب ابن حرةٍ تلك الزلازل
إذا سر لم يبطر إذا نزلت بالخاشع
وليس لنكبةٍ المتضائل

ولما جلس كان يلبس ثيابه ويتوضأ للصلاة ويقوم ليخرج لصلاة الجمعة، فيرده المتوكلون فيرفع يده إلى السماء ويقول: اللهم أشهدك أنني أريد طاعتك ويمنعني هؤلاء، وأشار على المقتدر أن يقف العقار ببغداد على الحرمين والثغور، وغلتها ثلاثة عشر ألف دينارٍ في كل شهرٍ، والضياع الموروثة بالسواد وارتفاعها نيف وثمانون ألف دينارٍ سوى الغلة، ففعل ذلك وأشهد على نفسه الشهود، وأفرد لهذه الوقوف ديواناً سماه ديوإن البر. ورأى آثار سعيه لآخرته في دنياه، فإنه سلم من جميع البلاء على كثرة من عاداه وقصده، ومنع حواشي المقتدر من المحالات وحملهم على السيرة الحميدة، فأفسدوا أمره حتى اعتقل ثمانية عشر شهراً، ثم نفى إلى مكة واليمن ومصر، ثم عاد ووزر بعد ذلك، واحتاج إلى المشي في بعض أسفاره فجعل يتمثل:

قد علمت إخوتنا أنا على دقتنا صلاب
كلاب

وكان الديلم عند دخولهم إلى بغداد إذا اجتازوا على محلته تجنبوها ويقولون: هاهنا دار الوزير الصالح، وكانت داره على دجلة وهي المعروفة بالستيني، واحتاجت مسناتها إلى مرمةٍ فقدروا لها صناعها ثلاثة آلاف دينارٍ، فلما أحضر الدنانير قال: صرفها إلى الصدقة أولى، فليس اليوم على دجلة بين البلد والمعزية غيرها وهي مشهورة ببغداد إلى يومنا هذا.

قد عمل عليها عدة دواليب لسقي مزارع الزاهر، ونزل يوماً في طيارةٍ فاجتمع عليه قوم يسألونه توقيعاً فقال: نعم وكرامةً حتى أرجع وأوقع، ثم قال: ومن لي بان أرجع؟ ووقع لهم قائماً ثم قال: افتديت في هذا الفعل بعمر بن عبد العزيز، فإنه وقف على متظلمٍ وأطال الوقوف حتى قضى حاجته وقال: إن الخير سريع الذهاب، وخشيت إن أفوته نفسي.

ولما ورد البريدي إلى بغداد مستولياً عليها متغلباً خوف منه وقيل: الصواب أن تهرب إلى الموصل فقال: أيهرب مخلوق إلى مخلوق؟ أصرفوا ما أعددته لنفقة الطريق إلى الفقراء.

فلما دخل البريدي لم يكرم أحداً غيره، وكثر الموتان ببغداد في أيام البريدي، فكفن علي بن عيسى من الغرباء والفقراء ما لا يحصى كثرةً، حتى نفذ ما كان عنده فاستدان لذلك أموالاً كثيرةً، وكان يجري على خمسةٍ وأربعين ألف إنسان جراياتٍ تكفيهم، وخدم السلطان سبعين سنةً لم يزل فيها نعمةً عن أحدٍ، وأحصى له في أيام وزارته نيف وثلاثون ألف توقيعٍ من الكلام السديد، ولم يقتل أحداً ولا سعى في دمه، فبقيت عليه نعمته وعلى ولده بعد أن شحذت له المدى مراراً، فدفع الله عنه وأهلك ظالمه، ولم يهتك حرمةً قط لأحدٍ فلم يهتك الله له حرمةً مع كثرة نكباته، وكان على خاتمه مكتوب:

لله صنع خـفـي في كل أمرٍ يخاف

وكان له ابن يكنى أبا نصرٍ واسمه إبراهيم، وزر للمطيع في شهر ربيعٍ الأول سنة سبعٍ وأربعين، ومات في جمادى الأولى سنة خمسين وثلاثمائةٍ فجأةً. وابن يكنى

أبا القاسم واسمه عيسى بن عليٍ كتب للطائع لله. ودخل علي بن عيسى على أبي نصرٍ وأبي محمدٍ ولدى القاضي أبي الحسن عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف يعزيهما بموت أبيهما، فلما أرد الانصراف التفت إليهما وقال: مصيبة قد وجب أجرها، خير من نعمةٍ لا يؤدى شكرها. وهذا عندي من حر الكلام وفصل الخطاب.

علي بن عيسى الرماني

بن علي بن عبد الله الرماني أبو الحسن الزوراق، كذا قال الزبيدي. وقال التنوخي: وهو يعرف بالإخشيدي. قال التنوخي: وممن ذهب في زماننا إلى أن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعتزلة: أبو الحسن علي بن عيسى النحوي المعروف بابن الرماني الإخشيدي. قال المؤلف: أرى أنه كان تلميذ ابن الإخشيد المتكلم أو على مذهبه، لأنه كان متكلماً على مذهب المعتزلة، وله من ذلك تصانيف مأثورة، وكان إماماً في علم العربية علامةً في الأدب، في طبقة أبي عليٍ الفارسي وأبي سعيدٍ السيرافي. وكان قد شهد عند أبي محمد بن معروفٍ. مات في حادي عشر جمادى الأولى سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ في خلافة القادر بالله. ومولده في سنة ستٍ وسبعين ومائتين. أخذ عن ابن السراج وابن دريدٍ والزجاج. وله تصانيف في جميع العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة كما ذكرنا، وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق حتى قال أبو عليٍ الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معه منه شيء، وكان يقال: النحويون في زماننا ثلاثة: واحد لا يفهم كلامه وهو الرماني، وواحد يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسي، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذٍ وهو السيرافي.

وللرماني من التصانيف الأدبية: كتاب تفسير القران المجيد، كتاب الحدود الأكبر، كتا ب الحدود الأصغر، كتاب معاني الحروف، كتاب شرح الصفات، كتاب شرح الموجز لابن السراج، كتاب شرح الألف واللام للمازني، كتاب شرح مختصر الجرمي، كتاب إعجاز القران، كتاب شرح أصول ابن السراج، كتاب شرح سيبويه، كتاب المسائل المفردات من كتاب سيبويه،

كتاب شرح المدخل للمبرد، كتاب التصريف، كتاب الهجاء، كتاب الإيجاز في النحو، كتاب الاشتقاق الكبير، كتاب الاشتقاق الصغير، كتاب الألفات في القران، كتاب شرح المقتضب، كتاب شرح معاني الزجاج.
قرأت بخط أبن حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ - وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ - فقال: ومنهم علي بن عيسى الرماني فإنه لم ير مثله قط بلا تقيهٍ ولا تحاشٍ ولا اشمئزازٍ ولا استيحاشٍ علماً بالنحو، وغزارةً في الكلام وبصراً بالمقالات، و استخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل، مع تألهٍ وتنزهٍ ودينٍ ويقينٍ وفصاحةٍ، وفقاهةٍ وعفافةٍ ونظافةٍ.
وقرأت بخط أبي سعدٍ: سمعت أبا طاهرٍ السنجي، سمعت أبا الكرم بن الفاخر النحوي، سمعت القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي، سمعت شيخنا أبا الحسن على ابن عيسى الرماني النحوي يقول وقد سئل، فقيل له: لكل كتب ترجمه، فما ترجمة كتاب الله عز وجل? فقال:)هذا بلاغ للناس ولينذروا به(.
وقال أبو حيان: سمعت علي بن عيسى يقول لبعض أصحابه: لا تعادين أحداً وإن ظننت أنه لن ينفعك، فإنك لا تدري متى تخاف عدوك أو تحتاج إليه? ومتى ترجو صديقك أو تستغني عنه? وإذا اعتذر إليك عدوك فاقبل عذره، وليقل عيبه على لسانك.
قال أبو حيان: ورأيت في مجلس علي بن عيسى النحوي رجلاً من مرو يسأله عن الفرق بين من وما، ومن ومم، فأوسع له الكلام وبين، وقسم وفرق، وحدومثل، وعلق كل شيءٍ منه بشرطه من غير أن فهم السائل أو تصور، وسأل إعادته عليه وإبانته له، ففعل ذلك مراراً من غير تصورٍ حتى أضجره، ومن حد الحلم أخرجه. فقال له: أيها الرجل، يلزمنى أن أبين للناس وأصور لمن ليس بناعسٍ، وما علي أن أفهم البهم والشقر والدهم، مثلك لا يتصور هذه المسألة بهذه العبارة وهذه الأمثلة، فإن أرحتنا ونفسك فذاك، وإلا فقد حصلنا معك على الهلاك، قم إلى مجلسٍ آخر ووقتٍ غير هذا. فأسمعه الرجل ما ساء الجماعة، وعاد بالوهن والغضاضة، ووثب الناس لضربه وسحبه،

فمنعهم من ذلك أشد منع بعد قيامه من صدر مجلسه ودفع الناس عنه وأخرجه صاغراً ذليلاً مهيناً والتفت إلى أبي الحسن الدقاق وقال له: متى رأيت مثل هذا فلا يكونن منك إلا التؤدة والاحتمال؟ وإلافتصير نظيراً لخصمك، وتعدم في الوسط فضل التمييز. وأنشا يقول:

ولولا أن يقال هجا نمـيراً ولم يسمع لشاعرها جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليبٍ وكيف يشاتم الناس الكلابا؟

علي بن عيسى الربعي

بن الفرج بن صالح الربعي الزهيري أبو الحسن النحوي، أحد أئمة النحويين وحذاقهم، أجيدي النظر الدقيق الفهم والقياس، أخذ عن أبي سعيد السير أفي وهاجر إلى شيراز فأخذ عن أبي عليٍ الفارسي ولازمه عشرين سنةً، فقال أبو عليٍ: ابقي شيء تحتاج إليه، ولوثرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو، ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات سنة عشرين وأربعمائةٍ عن نيفٍ وتسعين سنةً، وصنف تصاني منها: كتاب شرح الإيضاح لأبي عليٍ، كتاب شرح مختصر الجرمي، كتاب البديع في النحو، كتاب شرح البالغة، كتاب ما جاء من المبني على فعال، كتاب التنبيه على خطأ ابن جني في تفسيرٍ شعر المتنبي، كتاب شرح سيبويه إلا أنه غسله، وذاك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألةٍ فقام مغضباً وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجانةٍ وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاةً. وكان مبتلىً بقتل الكلاب وكسر سوقهم ويقول: ما الذي يمنعهم من نزول الشط؟ فقيل له: يمنعهم كلاب القصابين وسأل يوماً أولاد الأكابر الذين يحضرون مجلسه أن يمضوا معه إلى كلواذي فظنوا ذلك لحاجة عرضت له مناك، فركبوا خيولا وجعل وهو يمشي بين أيديهم وسألوه الركوب فأبى عليهم، فلما صار بخرابها وقفهم على ثلم وأخذ كساء وعصا، وما زال يعدو إلى كلب هناك والكلب يثب عليه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه، نوه حتى أمسكوه وعض على الكلب بأسنانه عضا شديدا والكلب يستغيث ويزعق، فما تركه حتى اشتفى وقال: هذا عضني منذ أيام وأريد إن أخالف قول الأول:

شاتمني كلب بني مـسـمـع فصنت عنه النفس والعرضـا
ولم أجبه لاحـتـقـاري لـه من ذا يعض الكلب إن عضا؟

وكان يوما يمشي على شاطئ دجلة والرضى والمرتضى العلويان في زيزي ومعهما أبو الفتح عثمان بن جني فقال لهما: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان بن جنيٍ فقال لهما: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً معهما في الزبزب وعلي يمشي على الشط بعيداً منهما. حدث أبو غالب محمد بن بشران النحوي الواسطي قال: قدم علينا

علي بت عيسى الربعي النحوي الى واسط ونزل في حجرة في جوار شيخنا أبي إسحاق يوماً: قد انعكفت على هذا المجنون? فقلت له: إنه يحكي النحو عن أبي عليٍ كما أنزل. فقال: صدقت، وهو يحكي النحو عن أبيٍ عليٍ كما أنزل. وحدث ابن بشكوال في كتاب الصلة في أخبار علماء الأندلس قال: قال الربعي: كان عبد الله بن حمودٍ الزبيدي الأندلسي قد قرأ يوماً على أبي عليٍ في نوادر الأصمعي: أكأت الرجل: إذا رددته عنك، فقال أبو عليٍ: ألحق هذه الكلمة بباب أجأ فإني لم اجد لها نظيراً غيرها، فسارع من حوله إلى كتابتها. وقال الربعي: فقلت أيها الشيخ: ليس أكأت من أجأ في شيءٍ. قال: وكيف ذلك? قال: قلت لأن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وقطرباً النحوي حكيا إنه يقال: كيأ الرجل: إذا جبن، فخجل الشيخ وقال: إذا كان كذا فليس منه، فضرب كل واحدٍ منهم على ما كتب. قرأت بخط هلال بن المظفر الريحاني في كتابٍ ألفه: ذكر غير واحدٍ من أهل زنجان أن رجلاً منها يعرف بجابر بن أحمد خرج إلى بغداد متأدباً، فحين دخل قصد بن عيسى النحوي بعد أن لبس ثياباً فاخرةً عطرةً وتجمل وتزين ودخل عليه وسلم. فقال له علي بن عيسى: من أين الفتى? قال: من الزنجان بألفٍ ولامٍ، فعلم الربعي أن الرجل خالٍ من الفضل فقال: متى وردت? قال: أمس. فقال: جئت راجلاً أم راكباً? فقال: بل راكباً. قال: المركوب مكتريً أم مشتريً? قال: بل مكتريً. فقال الشيخ: مر واسترجع الكرى فإنه لم يحمل شيئاً، ثم أنشد الشيخ:

وما المرء إلا ومعقوله والجسم
الأصغران لسانه خلق مصور
فإن طرة راقتك أمر مذاق العود
فاخبر فربما والعود أخضر

قال علي بن عيسى الربعي: استدعاني عضد الدولة وبين يديه الحماسة فوضع يده على باب الأضياف وقال: ما تقول في هذه الأبيات?:

ومستنبحٍ بات الصدى إلى كل صوتٍ وهو
يستتيهه في الرجل جانح
فقلت لأهلي: ما وسارٍ أضافته الكلاب
بغام مطيةٍ النوابح?

فقلت: هذا قول عقبة بن بجير الحارث، ومعناه: أن العرب كانت إذا ضلت في سفر وصارت بحيث تظن أنها قريبة من حلةٍ نبحت لتسمعها الكلاب فتجيبها، فيعرفون به موضع القوم فيقصدونه ويستضيفون فيضافون فقال: إن قوماً يتشبهون بالكلاب حتى يضافوا لأدنياء النفوس، فوجمت بين يديه وأنا واقف وهو ينظر إلي، وكان من عاداتنا أنه ما دام ينظر إلى أحدنا لم يزل واقفاً بين يديه حتى يرد طرفه. قال: ثم فكر فقال: لا بل إن أقواماً يستنبحون في هذا القفر والمكان الجدب فيستضيفون فيضافون مع الإقلال والعدم لقوم كرامٍ وأمر لي بجائزةٍ فدعوت له وانصرفت.

قرأت بخط ابي الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد ابن يعقوب: قال لنا الرئيس أبو البركات جبر بن علي ابن عيسى الربعي: قال لي أبي: أخرج إلى عضد الدولة بيده مجلداً بأدمٍ مبطنٍ بديباجٍ أخضر في أنصاف السلطاني مذهبٍ مفصولٍ بالذهب بخطٍ أحسن، فيه شعر مدبر وحسن ليس له معنىً. فقال لي: كيف ترى هذا الشعر؟ فقلت: شعر مدبر والذي قاله خرب البيت مسود الوجه، ثم يمضي على ذلك زمان، ودخلت إليه فأومأ إلى خادم وقال له: امض إلى مرقدنا وجئنا بشعرنا، فمضي وجاء بالمجلدٍ بعينه وهو هو فأبلست فقال: كيف تراه؟ وتلجلج لساني وربا في فمي، فقلت حسناً جيداً، ولم ير في ذلك شيئاً ألبته.

قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: جاريت الشيخ أبا منصورٍ موهوب بن الجواليقي ذكر أبي الحسن علي بن عيسى بن صالح بن الفرج الربعي صاحب أبي علي الفارسي، فأخذت في تقريظه وتفضيله وقال لي: كان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به، إلا أن جنونه لم يكن يدعه يتمكن منه أحد في الأخذ عنه والإفادة منه. قال: وقال لي الشيخ أبو زكرياء: سألت أبا القاسم بن برهان فقلت له: يا سيدنا، تترك الربعي والأخذ عنه مع إدراكك إياه وتأخذ عن أصحابه؟ فقال لي: كان مجنوناً وأنا كما ترى، فما كنا؟ قال: ولقد مر يوماً بسكران ملقي على قارعة الطريق فحل سرواله يعني سروال الربعي، وجلس على أنفه وجعل يضرط ويشمه السكران ويقول له:

تمتع من شميم عرار نجدٍ فمابعد العشية من عرار

علي بن عيسيعرف بابن وهاشٍ

بن حمزة بن وهاس، أبي الطيب يعرف بابن وهاشٍ، من ولد سليمان بن حسن بن علي ابن أبي طالب عليه السلام. وذكر العماد في موضعٍ آخر عن دهمس بن وهاس بن عتود بن حازم بن وهاس الحسني: أن علي بن عيسى مات بمكة في سنة نيفٍ وخمسمائةٍ. وكان في عشر الثمانين، وكان أصله من اليمن من مخلاف ابن سليمان، وكان شريفاً جليلاً هماماً من أهل مكة وشرفائها وأمرائها، وكان ذا فضلٍ غزيرٍ. وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر مجيدة، قرأ على الزمخشري بمكة وبرز عليه، وصرفت أعنة طلبة العلم إليه، وتوفي في أول ولاية الأمير عيسى بن فليته أمير مكة في سنة نيفٍ وخمسين وخمسمائةٍ، وكان الناس يقولون: ما جمع الله لنا بين ولاية عيسى وبقاء علي بن عيسى.

وله شعر منه في مرثية الأمير قاسمٍ جد الأمير عيسى:

يا حادي العيس على بعدها وخادةً تسحب فضل النعال

رفه عليهن فـلا قـاسـمـاً لها على الأين وفرط الكـلال

غاض النمير العـذب يا وارداً وحال عن عهدك ذاك الزلال

إن يمض لا يمض أو يود لا يود ذميم

بطئ القرى الفـعـال

وله مدح في الزمخشري ذكرته في ترجمته. ومن شعره:

صلى حبل الملاءمة وكفى من عتابك أو أشـتـى
أو فبتـى
هي الأنضاء عزمة ذي فحسبك والملام ولا هبـلـت
همـومٍ
إليك فلست مـمـن ملام أو يريع إذا أهـبـــت
يطـبـيه
حلفت بها تواهق بقايا ما بها كثـمـال قـلـت
كالـحـنـايا
سواهم كالحـنـايا تركع من وجىً ودباً وعنـت
زاحـراتٍ
جوازع بطن نخلة تؤم البيت من خمـسٍ وسـتٍ
عـابـراتٍ
أزال أديب أنضـاءً بكل ملمع القفـرات مـرت
طـلاحـاً
وأرغب عن محل فيه حبال المجد تضعف عند متـى
أضحت
أمـا جـربـت يا أيام فروك تجمعٍ وحلـيف شـت
مـنـى
أبي ما عجمـت وأثر في نيوبك ما عجـمـت
صـفـاه إلا
ورب أخٍ كريم المجد يراع لدعوتي كالسيف صلـت
محـضٍ
أبت نفسي فلم بشكوى غير ما جلدٍ وصمـت
تسـمـح إلـيه
أقول لنفسي أليس على الزرية ما صبرت?
المشفاق مـهـلاً
لئن فارقت خير عـراً فخيربني أبـيك بـه نـزلـت
لأهـلٍ

وكتب إلى عمته وقد أرسلت تقول له: كم هذا البعد عنا والتغرب?:

ومهدية عندي على رسائل مشتاقٍ كـريمٍ
نـأى دراهـا وسـائلـه
تقول: إلى كم يا بن وبعداً وكم ذا عنك

عيسى تجنبـاً ركباً نسائله؟؟
فيوشك أن تودى وما عليك ولا بال بما أنت فـاعـلـه
من حـفـيةٍ
فقلت لها: في لذي الهم إن أعيت
العيس والبعد راحة عليه مقاتـلـه
وفي كاهل الليل وكم مرةٍ نجى من
الخدارى مركـب الضيم كاهلـه
إذا لم تعادلك الليالي ولاسمحت بالنجح
بـصـاحـب عفواً أنامـلـه
فلا خير في أن ترأم وغيظاً على طول
الضيم ثـاوياً الليالي تماطله
ذريني فلي نفس عصاب وقلب يشرب
أبـي إن يدرهـا اليأس حامله
إذا سيم ورداً بعد عن الماء خوف
خمس تشمـرت المقذعات ذلاذله

علي بن فضال بن علي

بن غالب بن جابر بن عبد الرحمن ابن محمد بن عمرو بن عيسى بن حسن بن زمعة بن هميم بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم - هكذا وجدته هميم والمعروف همام، وهو الفرزدق الشاعر، لأن ابن فضال يعرف بالفرزدقي - القيرواني النحوي أبو الحسن المجاشعي، هجر مسقط رأسه ورفض مألوف نفسه، وطفق يدوخ بسيط الأرض ذات الطول والعرض، يشرق مرةً ويغرب أخرى، ويركب القفار ويأوي إلى ظل الأمصار برهةً حتى ألم بغزنة فألقى عصاه بها، ودرت له أخلافها فلقى وجه الأماني، وصنف عدة تصانيف بأسامي أكابر غزنة سارت في البلاد، ثم عاد إلى العراق وانخرط في سلك خدمة نظام الملك مع أفاضل العراق، ولم تطل أيامه حتى نزل به حمامة، وكان إماماً في النحو واللغة والتصنيف والتفسيروالسير. صنف كتاب التفسير الكبير الذي سماه البرهان العميدي في عشرين مجلداً، وكتاب النكت في القران، وكتاب شرح بسم الله الرحمن الرحيم وهو كتاب كبير، وكتاب إكسير الذهب في

صناعة الأدب والنحو في خمسة مجلداتٍ، وكتاب العوامل والهوامل في الحروف خاصةً، وكتاب الفصول في معرفة الأصول، وكتاب الإشارة في تحسين العبارة، وكتاب شرح عنوان الأعراب، وكتاب المقدمة في النحو، وكتاب العروض، وكتاب شرح معاني الحروف، وكتاب الدول في التاريخ.

رأيت في الوقف السلجوقي ببغداد منه ثلاثين مجلداً ويعوزه شيءآخر، وكتاب شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب. وقيل إنه صنف كتاباً في تفسير القران في خمسٍ وثلاثين مجلداً سماه كتاب الإكسير في علم التفسير، وكتاب معارف الأدب كبير نحو ثمانية مجلداتٍ. وله غير ذلك من الكتب في فنونٍ من العلم، وأقام ببغداد مدةً وأقرأ بها النحو واللغة، وحدث بها عن جماعةٍ من شيوخ المغرب. وذكر هبة الله السقطي أنه كتب عن ابن فضالٍ أحاديث قال: فعرضتها على عبد الله بن سبعون القيرواني لمعرفته برجال الغرب فأنكرها وقال: أسانيدها مركبة على متونٍ موضوعةٍ، واجتمع عبد الله بن سبعون في جماعةٍ من المحدثين وأنكروا عليه فاعتذر وقال: إني وهمت فيها. وذكره عبد الغفار الفارسي فقال: ورد نيسابور واختلفت إليه فوجدته بحراً في علمه. ما عهدت في البلديين ولا في الغرباء مثله في حفظه ومعرفته وتحقيقه، فأعرضت عن كل شيء وفارقت المكتب ولزمت بابه بكرةً وعشيةً وكان على وقارٍ.

قال السمعاني: سمعت ابن ناصرٍ يقول: مات ابن فضالٍ في ثاني عشر ربيعٍ الأول سنة تسعٍ وسبعين وأربعمائةٍ، ودفن بباب أبرز، قال شجاع الذهلي: أنشدنا ابن فضالٍ لنفسه:

لا عذر للصب إذا لم يكـن ... يخلع في ذاك العذار العذار
كأنـه فـي خـده إذ بــدا ... ليل تبدى طالعاً من نهـار
تخاله جنح الـظـلام وقـد ... صاح به ضوء صباحٍ فحار

وقال أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي: أنشدنا ابن فضالٍ لنفسه:

كأن بهرام وقد ... فيه الثريا نظر

عارضـت المبـصـر
ياقوته يعـرضـهـا في كفه والمشتري
بـائع مشتري

ومن شعره:

أخذ العلم عن رواية وإن كان راوية أخا
واجتلب الهدى عمـلٍ زارى
فإن رواة العلم كل التمر منه واترك
كالنخـل يانـعـاً العود للنار

قال عبد الغفار بن اسماعيل: وأنشدني ابن فضالٍ لنفسه:

يا يوسفي الجمال يبق له حيلة من
عبدك لم الحـيل
إن قد فيه القميص قد قد فيه الفؤاد من
من دبرٍ قبـل

وأنشد السمعاني بإسناده لعلي بن فضالٍ المجاشعي في ترجمة صاعد بن سيارٍ الهروي:

وإخوانٍ حسبتهـم فكانوها ولكن
دروعـاً لـلأعـادي
وخلتهم سهامـاً فكانوها ولكن في
صـائبـاتٍ فـؤادي
وقالوا: قد صفت منا لقد صدقوا ولكن من
قلوب ودادي

وأنشد له صاحب الوشاح في نظام الملك:

دوراس أيٍ مـا تـكـاد عفا هن دمع للسـحـاب
تـبـــين هـتـون
وقفنا بها مستلهـمـين لسان البلى عن
فـلـم يزل عجمـهـن يبـين
وما خفت أن تبدى مواثل أمثال
خفي سـرائري الجـمـاجـم جـون
على حين عاصيت وأرخصت علق اللهو
الصبا وهو طائع وهو ثمـين
أرى المزن يهوى رسم فلـي ولـه دمـع بـه
من قد هويته وحـنـين
سقى الله حيث فقلبي حيث
الظاعنون سحـائبـاً الظاعـنـون رهـين
فكم ضمنت أحداجهـم أوانس ينـضـوهـا
مـن جـآذرٍ جـآذر عـين

وأقمار تم لم ير الناس قبلها بدوراً تثنى تحتهن غصون
يجردن من ألحاظهن صوارماً مهندةً: أجفانهن جفون

وأنشد له:

والله إن الله رب العباد وخالص النية والإعتقاد
ما زادني صدك إلاهوى وسوء أفعالك إلا وداد
وإنني منك لفي لوعةٍ أقل ما فيها يذيب الجماد
فكن كما شئت فأنت المنى واحكم كما شئت فأنت المراد
وما عسى تبلغه طاقتي وإنما بين ضلوعي فؤاد

ومما نقلته من السمعاني لابن فضالٍ:

فتنتني أم عمروٍ وكذاك الصب مفتون
قلت: جودى لكئيبٍ مستهامٍ بك محزون
فلوت عني وقالت: أترى ذا المرء مجنون
ما رأى الناس جميعاً في كتاب الله يتلون
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون؟

وفي كتاب سر السرور لابن فضالٍ:

ما هذه الألف التي قد زدتموا فدعوتم الخوان بالإخوان

وزادني الحافظ شمس الدين أبو نصرٍ عبد الرحيم بن وهبان:

ما صح لي أحدٍ في الله محضاً أو فأجعله أخاً ففي الشيطان
إما مولٍ عن ودادي ما له وإما من له وجهان

وحدث محمد بن طاهرٍ المقدسي وكان كما علمت وقاعةً في كل من انتسب إلى مذهب الشافعي لأنه كان حنبلياً. سمعت ابراهيم بن عثمان الأديب الغزي بنيسابور يقول: لما دخل أبو الحسن بن فضالٍ النحوي نيسابور واقترح عليه الأستاذ أبو المعالي بن الجويني أن يصنف باسمه كتاباً في النحو وسماه الإكسير وعده إن يدفع إليه ألف دينارٍ، فلما صنفه وفرغ منه ابتدأ بقراءته عليه، فلما فرغ من القراءة انتظر أياماً أن يدفع إليه ما وعده أو بعضه فلم يدفع شيئاً، فأنفذ إليه الأستاذ: عرضي فداؤك ولم يدفع إليه حبةً واحدةً. قلت أنا: وبلغني عقيب ذلك ورد بغداد وأقام بها ولم يتكلم بعد في النحو وصنف كتابه في التاريخ. ومن شعره الذي أورده السمعاني:

أحب النبي وأصـحـابـه وأبغض مبغض أزواجه
ومهما ذهبتم إلى مذهـبٍ فمالي سوى قصد منهاجه

قال السلفي: قال الرئيس أبو المظفر: أنشدني أبو القاسم ابن ناقيا في ابن فضالٍ المجاشعي المغربي قال: ودخلت دار العلم ببغداد وهو يدرس شيئاً من النحو في يومٍ باردٍ فقلت:

أليوم يوم قـارس بـارد كأنه نحو ابن فـضـال
لا تقرءوا النحو ولا شعره فيعتري الفالج في الحال

علي بن الفضل المزني

أبو الحسن النحوي نقلت من خط أبي سعيد عبد الرحمن بن عليٍ اليزدادي في كتابه المسمى: جلاء المعرفة، تعرض فيه للمأخذ على العلماء قال: وكان قرئ كتاب الكرماني في النحو على أبي الحسن المزني، وقرأة هو على أبيه، وأبوه على الكرماني، وفضل أبي الحسن في عصره على من كانت تضرب إليه آباطل الأبل في العراق لاقتباس العلم منه. وكان ابن جريرٍ يحثه أبداً على قصد العراق علماً منه بانه لو دخل بغداد لقبل فوق قبول غيره، ولكان الأستاذ المقدم، وبلغ من فضل علمه أنه صنف كتاباً في علم بسم الله الرحمن الرحيم، وسماه البسملة ويقع في ثلاثمائة ورقةٍ، وله في النحو والتصريف مصنفات لطيفة نافعة، وقد روى المزني عن اسحاق بن مسلمٍ، عن أبي سعيد الضرير.

علي بن القاسم القاشاني

الكاتب أبو الحسن ذكره الثعالبي فقال: بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة، المالكين أزمة البلاغة، المتوقلين في هضبات المجد، المترقين في درجات الفضل والرسائل الجيدة، والأشعار الرائقة. فمن رسائله: كتابي - أطال الله بقاء مولاي - وأنا مترددٌ بين جذلٍ لتجدد بره في خطابه، وبين خجل من قوارع زجره وعتابه، فإذا خليت عنان أنسي في رياض مبارة فرتعت، جاذبيته لاعج الإشفاق من سوء ظنه ففرغت، ولو كنت جانياً لاعتذرت، أو كان سوء ظنه بي صادقاً لاعترفت، ولعذت منه بحقوى كريمٍ لا يبهضه اغتفار الجرائر، ولا يتعاظمه الصفح عن الكبائر.

فصل: علقت هذه المخاطبة والأشغال تكتنفني، وكد الخاطر بأسبابٍ شتى يقتسمني، ووراء ذلك كلال الذهن بارتقاء السن، ونقصان الخواطر بزيادة الشواغل، واستمرار البلادة لمفارقة العادة، ومولاي - والله يعيذه من السوء - مقتبل الشباب، زائد الأسباب، مؤتنف المخائل، متجدد الفضائل، إلى علمٍ لا يدرك مضماره، ولا يشق غباره، فإذا حملني على مساجلته فقد عرضني للتكشف، وإن عرضني على محنة التتبع فقد سلبني ثوب التجمل.

فصل: وصل كتاب مولاي:

فكم فرحةٍ أدى وكم كربةٍ جلى وكم بهجةٍ أولى وكم غمةٍ سلا

وسألت الله واهب خصال الفضل له، وجامع خلال النبل فيه، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه، أن يتولى حفظ النعم النفيسة، ويديم حياطة هذه المنائح الخطيرة بصيانة تلك الشيم العلية، حتى تستوفي المكارم أعلى حظها في أيامه، وتجوز الفضائل أقصى غاياتها في مضماره:

فينجح ذو فضلٍ ويكمد ناقص ويبهج ذو ودٍ ويكبت حاسـد

فصل: وما أرتضي نفسي لمخاطبة مولاي إلا إذا كنت منفي الشواغل فارغ الخواطر، مخلى الجوارح مطلق الإسار سليم الأفكار، فكيف بي مع كلال الحد وانغلاق الفهم، واستبهام القريحة واستعجام الطبيعة، والمعول على النية وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة، والمرجع إلى العقيدة وهي بالولاء المحض معروفة، ولا مجال للعتب بين هذه الأحوال، كما لا مجاز للعذر وراء هذه الخلال، وكتب إلى الصاحب أبي القاسم بن عبادٍ قصيدةً منها:

إذا الغيوم ارجحن باسـقـهـا وحف أرجاءها بـوارقـهـا

وابتسمت فرحةً لوامـعـهـا واحتفلت عبرةً حمالـقـهـا

وقيل: طوبى لبلدةٍ نـتـجـت بجو أكنافـهـا بـوارقـهـا

فليسق غيث الندى أبا القاسم ال قرم وزير الأنـام وادقـهـا

وهي طويلة ثم قال: هذه - أطال الله بقاء مولاي - نتائج أريحيةٍ أثارتها مخاطبات مولاي، التي هي أنقع لغلتي من برد الشراب، وأعجب إلى من برد الشباب، فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهدته، وأسكنه ظل أمانته وذمته، ليسبل عليه ستر مودته، ويتأمله بعين محبته. نعم وقد محا الزمان آثار اساءته إلي، بما أسعفني به من إقبال مولاي علي، وتتابع بره في مخاطباته لدى، فكل ذنبٍ لهذه النعمة مغفور، وكل جنايةٍ بهذا الإحسان مغمور. وأجابه الصاحب بكتابٍ صدره بأبياتٍ منها:

بدت عذارى مدت سرادقها وأقسم الحسن لا يفارقها?

كواعب أخرست دمالجهـا عنا وقد أقلقت مناطقها?

أم روضة أبرزت محاسنها ومايني قطرها يعانقهـا?

أم أشرقت فقرةً حديقة زانها

بدائعهـا طرائقهـا?
لله حلف العلا أبو وقد جرت للعلا
حسـنٍ سوابقها
لله تلك الألفـاظ غو معان تعيا
حـامـلةً دقائقـهـا
يكاد إعجازها في سورٍ أنها
يشككـنـا توافقـهـا

وهي طويلة، هذه - أطال الله عمر مولاي - أبيات علقتها والروية لم تعتلقها، وأعنقت فيها و الفكرة لم تعتنقها، لاثقةً بالنفس ووفائها، وسكوناً إلى القريحة وصفائها، بل علماً باني وإن أعطيت الجهد عنانه، وفسحت للكد ميدانه، لم أدان ما ورد من ألفاظٍ أيسرما أصفها به الامتناع على الوصف أن يتقصاها، والبعد عن الإطناب أن يبلغ مداها، ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجز يخطر بين أفكاري، والقصور يتبختر بين إقبالي وإدباري، إلى أن فكرت في أن فضيلة المولى تشتمل عبده، وتخيم وإن تصرفت عنده، فثاب إلى خاطرٍ نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً رجوت إن يحظى بطائل القبول، وإن تتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول، هذا ولا عار على من سبقه سباق الأقران المستولى على قصب الرهان. ومن شعر القاشاني المشهور:

وإني وإن أقصرت لراعٍ لأسباب الـمـودة
عن غير بغضةٍ حـافـظ
وما زال يدعوني إلى فآبى ويثنيني إلـيك
الصد ما أرى الـحـفـائظ
وأنتظرالعتبى ألاين طوراً في
وأغضى على القذى الهوى وأغـالـظ

علي بن القاسم السنجاني أبو الحسن

وسنجان قصبة خواف. ذكره الباخرزي فقال: هو صاحب كتاب مختصر العين، ومحله من الأدب محل العين من الإنسان، ومحل الإنسان من العين، وقد سهل طريق اللغة على طالبيها، وأدنى قطوفها من متناوليها باختصاره كتاب العين، ولا تكاد ترى جحورالمتأدبين منه خاليةً، وله شعر الزهاد وقد جرى فيه على سمت العباد، ونسجه على منوال أولى الاجتهاد، فمما وقع إلى منه قوله:

خليلي قوما فاحملا وقولا لدنيانا التي
لـي رسـالةً تـتـصـنـع
عرفناك يا خداعة ألسنا نرى ما تصنعين
الخلق فاعزبي ونسمـع?
فلا تتحلـى لـلـعـيون فإنا متى ما تسفرى
بـزينةٍ نـتـقـنـع
نغطي بثوب اليأس إذا لاح يوماً من
منا عيونـنـا مخازيك مطمع
وهل أنت إلامتعة فلم يهننا مما رعينـاه
مستـعـارة? مـرتـع

فأنت خلوب كالغمامة رجاها مرجى الغيث كـلـمـا ظلت تقشع
طلوع قبوع تطلع أحياناً وحـينـاً كالمغـازلة الـتـي تـقـبـع

وله يرثي نفسه:

دبت إلى بنات الأرض حتى تمشين في مسـرعةً قلبي وفي كبدي
والعين من فويق الخـد سـائلة وطالما كنت أحميها من الرمـد

علي بن المبارك اللحياني

وقيل على بن حازم ويكنى أبا الحسن، أخذ عن الكسائي، وأخذ عنه أبو عبيدٍ القاسم بن سلامٍ. وله كتاب النوادر. قال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وممن أخذ عن الكسائي أبو الحسن علي بن حازم الختلي اللحياني من بني الحيان بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر صاحب كتاب النوارد، وقيل سمى اللحياني لعظم لحيته.

حدثني أبو عمر الزاهد عن أبي عمرو بن الطوسي عن أبيه عن اللحياني قال أبو عمر: وسمعت ثعلباً يقول: قال الأحمر: خرجت من عند الكسائي ذات يوم فإذا اللحياني جالس فقال لي: أحب أن تدخل فتشفع لي إلى الكسائي لأقرأ عليه هذه النوادر. قال: فدخلت إلى الكسائي فقلت له. فقال: هو بغيض ثقيل الروح. قال الأحمر: وكان اللحياني ورعاً. قال: فقلت له: أحب أن تفعل فأجابني فخرجت الى اللحياني فقلت له: قد قال كذا وكذا فلم لا تنبسط معه؟ فقال: دعني وإياه. قال اللحياني: فدخلت عليه وهو جالس على كرسيٍ ملوكيٍ وعليه بغداديه مشهرة على رأسه بطيخية وبيده كسرة سميدٍ وهو يفتها للحمام. قال ثعلب: وكان السلطان قد أفسده. قال: فقال لي: ما تقول في النبيذ؟ قلت أنا؟ قال: نعم، قلت أحسوه ثم أفسوه. قال: فضحك مني وقال: أنت ظريف فاكتم ما سمعت وأقرأ ما شئت، فقرأت عليه وخرجت فإذا الحجارة تأخذ كعبي فالتفت أقول من ذا؟ فإذا هو من منظر له يقول: من كنت تقرأ عليه حتى صدعته اليوم. قال أبو الطيب: وقد أخذ اللحياني عن أبي زيدٍ وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة

والأصمعي وعمدته على الكسائي، وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين، وأهل البصرة يمنعون من الأخذ عنهم، لأنهم لا يرون الأعراب الذي يحكون عنهم حجةً.

قال ابن جني في الخصائص: ذاكرت يوماً أبا علي بنوادر اللحياني فقال: كناسة. قال: وكان أبو بكرٍ محمد ابن الحسن بن مقسمٍ يقول: إن كتابه لا يصلهً به رواية وقدًحا فيه وغضا منه.

علي بن المبارك ابي المعالي بن علي

ابن المبارك بن عبد الباقي بن بانوية أبو الحسن المعروف بابن الزاهدة النحوي صاحب ابن الخشاب وليس بابن الزاهد، فإن في اصحاب ابن الخشاب آخر يعرف بابن الزاهد بغير هاء، وهو أحمد بن هبة الله مذكور في بابه. والزاهدة هذه التي يعرف بها أمه، واسمها أمة السلام المباركة بنت ابراهيم بن علي بن أبي الحسن بن أبي الحربش، وكانت واعظةً مشهورةً روت الحديث، مات ابن الزاهدة هذا في ثالث ذي الحجة سنة أربعٍ وتسعين وخمسمائةٍ، ودفن عند والدته برباط لهم بدرب البقر بمحلة الظفرية، وكان أيضاً يسكن بالظفرية في حياته، وكانت له معرفة جيدة بالنحو، قرأ على الشريف أبي السعادات بن الشجري، ثم على الشيخ أبي محمد ابن الخشاب، وأقرأ العربية مدةً وسمع منه الطلبة وأنشدت له:

إذا سام بمعنى يضمن معنى الشرط
الوقت يبـنـى لأنـه موضعه نصب
ويعمل فيه النصب ومابعده في موضع
معنى جـوابـه الجر يا نـدب

وله في كتاب الخريدة من قصيدةٍ كتبها إلى صلاح الدين:

ألا حييا بالرقمتين وإن كن قد أصبحن
المـعـالـمـا درساً طواسما

ومن مديحها:

إذا كانت الأعداء فعلاً أصار مواضيه
مضارعـاً الحروف الجوازما

علي بن المحسن أبو القاسم التنوخي

قال السمعاني في كتاب النسب: هو أبو القاسم علي ابن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، واسم أبي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم بن جابر بن هانئ بن زيد بن عبيد بن مالك بن مربط بن شرح بن نزار بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن فهم بن تيم بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة. سمع أبا الحسن علي بن أحمد بن كيسان النحوي، واسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوي، وروى عنه الخطيب فأكثر، وكان قد قبلت شهادته عند الحكام في

حداثته، مات فيما ذكره عبد الله بن علي بن الآبنوسي في سنة سبع وأربعين وأربعمائةٍ في محرمها. قال الخطيب: وسألته عن مولده فقال: ولدت بالبصرة في النصف من شعبان سنة سبعين وثلاثمائةٍ. قال: وكان معتزلياً، قال: وكان عنده كتاب القدر لجعفر الفريابي، وكان أصحاب الحديث يتحاشون من مطالبته بإخراجه، فطالبته به وقرأته عليه، وسمعوا أو كما قال. وكان التنوخي ساكتاً لم يعترض على شيء من تلك الأحاديث.

قال: وكان دخل التنوخي كل شهرٍ من القضاء ودار الضرب وغيرهما ستين ديناراً، فيمر الشهر وليس له شيء، وكان ينفق على أصحاب الحديث، وكان الخطيب والصوري وغيرهما يبيتون عنده، وكان ثقة في الحديث متحفظاً في الشهادة محتاطاً صدوقاً، وتقلد قضاء عدة نواحٍ منها المدائن وأعمالها ودرزيجان والبردان وقرميسين.

وحدثنا الهمذاني في تاريخه بعد ذكر مولده ووفاته كما تقدم ثم قال: وكان ظريفاً نبيلاً فاضلاً جيد النادرة. قال القاضي أبو عبد الله بن الدامغاني: دخلت على القاضي أبي القاسم التنوخي قبل موته بقليلٍ وقد علت سنه فأخرج إلى ولده من جاريته، فلما رآه بكى فقلت: تعيش إن شاء الله وتربيه ويقر الله عينك به، فقال: هيهات والله ما يتربى إلا يتيماً وأنشد:

أرى ولد الفتى كلاً عليه ... لقد سعد الذي أمسى عقيما

فاما أن يخلفه عدوا ... واما أن يربيه يتيما

ثم قال: أريد أن تزوجني من أمه - فإنني قد أعتقتها - على صداق عشرة دنانير ففعلت، وكان كما قال تربى يتيما، وهو أبو الحسن محمد بن علي بن المحسن. قبل القاضي أبو عبد الله شهادته، ثم مات سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته. قال أبو الحسن بن أبي الحسين: ولد لأبي القاسم التنوخي ولد في سنة نيفٍ وأربعين وأربعمائةٍ. فقال له رئيس الرؤساء: أيها القاضي، كنت منذ شهورٍ قريبةٍ قلت لي: إنك لا تعرف هذا الشأن، الذي يكون منه الأولاد منذ سنين، وإنه لا حاسة بقيت لك ولا شهوة ولا قدرة على هذا الفن، وأنت اليوم تقر عندي بولدٍ رزقته، ففي أي القولين أنت كاذب أيها القاضي؟ فقال: اللهم غفراً، اللهم غفراً، وخجل وقام. قال: واجتاز يوماً في بعض الدروب فسمع امرأةً تقول لأخرى: كم عمر بنتك يا أختي؟ فقالت لها: رزقتها يوم شهر بالقاضي التنوخي وضرب بالسياط، فرفع رأسه إليها وقال: يا بظراء صار صفعي تاريخك وما وجدت تاريخاً غيره؟ وكان أعمش العينين لا تهدأ جفونه من الانخفاض والارتفاع والتغميض والانفتاح، فقال فيه أبو القاسم بن بابك الشاعر:

إذا التنوخي انـتـشـا وغاض ثم انتعـشـا
أخفى عليه إن مشـي ت وهو يخفى إن مشا
فلا أراه قـــــلةً ولايراني عـمـشـا

وكان تولى دار الضرب فقال البصروي فيه:

وفي أمض الأعمال قاضٍ ليس بأعمى ولا بصـير
يقضم ما يجتـبـى إلـيه قضم البراذين للشـعـير

قال غرس النعمة: حدثت أنه جاء رجل إلى التنوخي على الطريق وهو راكب حماره وأعطاه رقعةً وبعد مسرعاً ففتحها وإذا فيها:

إن التنوخـي بـه أبـنة كأنه يسجد لـلـفـيش
له غلامان ينـيكـانـه بعلة التزويج في الخيش

فلما قرأها قال: ردوا ذاك زوج القحبة الذي أعطاني الرقعة، فعدوا وراءه فقال: هذه الرقعة منك؟ فقال: لا، أعطانيها بعض الناس وأمرني أن أوصلها اليك، قال: قل له: يا كشخان يا قرنان يا زوج ألف قحبةٍ، هات زوجتك وأختك وأمك إلى داري، وانظر ما يكون مني إليهم، واحكم ذلك الوقت بما حكمت به في رقعتك أو بضده، قفاه قفاه، فصفعوه وافترقا.

قال غرس النعمة: حدثني أبو سعدٍ المانداني قال: دخلت يوماً على القاضي أبي القاسم التنوخي وكانت عينه رمدةً أتعرف خبره فقال لي: حدثني من رأيت وما رأيت في طريقك؟ فقلت: رأيت منسفاً فيه نحو عشرين رطلاً رطباً أزاذاً لقاطاً ما رأيت مثله. فقال لغلامه: يا أحمد، علي بالمنسف الساعة، فمضى أحمد وابتاعه وجاء به فحل عينه وغسلها من الدواء الذي فيها وقال لي: كل حتى آكل، فقلت يا سيدي عينك رمدة فكيف تأكل رطبا؟ فقال: كل فعيني تهدأ والرطب يفنى، فأكل والله منه حتى وقف.

قال: وحدثني قال: كنت ليلةً بائتاً عنده فهبت ريح شديدة فما زال طرف النطع الذي تحته يصعد وينزل ويصفع رأسه فقال: هذا سقوط الساعة أم مصافعة؟ فقلت: ممن يا سيدنا؟ فقال: فضولك وضحكنا. قال: وحدثني قال: حدثني القاضي قال: كنت يوماً وقت

القيلولة نائماً فاجتاز واحد غث يصيح صياحاً أزعجني وأيقظني: شراك النعال، شراك النعال. فقلت لأحمد الغلام: خذ كل نعلٍ لي ولمن في داري وأخرجها إلى هذا الرجل ليرمها ويشتغل بها ففعل، ونمت إلى إن اكتفيت ثم انتبهت وصليت العصر وأعطيته أجرته ومضى، فلما كان من غدٍ في مثل ذلك الوقت جاء وأنا نائم فصاح وأنبهني فقلت للغلام: أدخله، فأدخله فقلت: يا ماص كذا وكذا من أمه، أمس في هذا الوقت أصلحت كل نعلٍ لنا. وعدت اليوم تصيح على بابنا، أبلغك أننا البارحة تصافعنا بالنعال وقطعناها؟ وقد عدت اليوم لعملها وإصلاحها، قفاه. فقال يا سيدنا القاضي: أو أتوب الأ أدخل هذا الدرب؟ قلت: فما تتركني أنام ولا أهدأ ولا أستقر؟ فحلف ألا يعود إلى الدرب وأخرجته إلى لعنة الله. قال: ورأيته يوماً عند الرئيس الوالد - رضي الله عنهما - وهو يشكو إليه قبح أبي القاسم بن المسلمة رئيس الروساء وقصده له وغضه منه، وتناهى غضبه إلى إن أخذ الدواة من بين يدي الرئيس ورفعها إلى فوق رأسه وقال: والله لقد بال في حجري وعلى ثيابي بعدد الرمل والحصا والتراب، وحط الدواة فضرب بها الأرض فكسرت، فلما رأى ذلك قام وانصرف وقد استحيا وبقينا متعجبين منه.

قال: وحدثني أبو سعدٍ المانداني قال: كنت مع القاضي التنوخي وقد خرج يوماً من دار الخلافة ليعبر إلى داره بالجانب الغربي، فلما بلغنا مشرعة نهر معلى صاح به الملاحون: يا شيخ يا شيخ، تعال هنا تعال هنا، فوقف وقال لهم: كل مردٍ معكم ومجذاف في كذا وكذا من نسائكم، ما فيكم إلاً من يعرفني ويعلم أنني القاضي التنوخي يا كذا وكذا، ثم نزل وهو يسبهم ويشتمهم والملاحون وأنا قد متنا بالضحك. وجاءه غلام قد تزوج وكتب كتاباً بمهر يشهده فيه واستحيا الغلام من ذلك فجذب طاقةً من حصير القاضي وجعل يقطعها لحيائه وخجله، ولحظه القاضي فقال يا هذا: أنا أشهد لك في كتابٍ يقتضي أن يحمل به إليك القماش والجهازاللذان يعمران بيتك ويجملأن أمرك، وأنت مشغول بقطع حصيري وتخيب بيتي؟ وشق الكتاب قطعاً ولم يشهد فيه ورمى به إليه، فأخذه وانصرف متعجباً.

قال: وحدثني الرئيس أبو الحسين والدي قال: شهد القاضي أبو القاسم - منذ سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ، إلى أن توفي في المحرم سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائةٍ، وكان مولده يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة خمسٍ وستين وثلاثمائةٍ، إلى أن توفي في المحرم سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائةٍ، وكان مولده يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة خمسٍ وستين وثلاثمائةٍ -، نيفاً وستين سنةً ما وقف له على زلةٍ ولا غلطةٍ. وأذكر له حكايةً وهي: أنه شهد مع جماعةٍ من الشهود على زوجة أبي الحسن بن أبي تمامٍ الهاشمي نقيب النقباء في اقرارٍ أقرت به، فلما سمعوا اقرارها من وراء الستارة لم يقنعهم ذاك، وأرداوا من يشهد عندهم أن المقرة هي المذكورة في الكتاب بعينها، وأن يشاهدوها حتى يسلموا له، ويصح أن يشهدوا عليها بالمعرفة، فلم يقدموا على ذلك وخطاب أبي تمام فيه، فخرج ولده منها فقام له التنوخي وأخذه إلى حجره وقبل رأسه وقال له: قليلاً قليلاً، من هذه التي تكلمنا من وراء الستارة وتحدثنا وتشهدنا عليه؟ فقال له: ستي، فالتفت إلى الجماعة وقال لهم: اشهدوا يا سادة، فأنا أشهد عندكم أن المقرة عندنا من وراء الستارة هي المذكورة في الكتاب بعينها، فشهدوا وشهد معهم. وقال من بعد: هذا صبي لا يعرف ما نحن فيه، ولو كان خلف الستارة غير ستة لقال، ولما كانت هي بعينها قال: هي ستي. ولعمري لقد كان أبو الحسن أجل من أن يفعل هذا معنا.

قال أبو الحسن: كان لنا غلام يعرف بجميلة فابتاع ألف سابلٍ سرجيناً من ملاحٍ يعرف بالدابة ليحمله إلى قراحنا المشجر في نهر عيسى ليطرح في أصول الشجر، فلما ذكر جميلة ذاك للرئيس رضي الله عنه قال له: اكتب عليه خطاً وأشهد فيه يعني المعلم في الدار ومن يجري مجراه، فكتب جميلة على الملاح رقعةً ومضى بها لا يلوي على شيءٍ إلى أن عاد التنوخي بين الصلاتين وهو جائع حاقن تعب والزمان صاف، فقام إليه ودعا له وقال له: من أنت؟ قال غلام فلان. قال: ما لك؟ قال: شهادة. قال له: اقعد ودخل فخلع ثيابه ودخل بيت الطهارة وأطال والغلام يصيح يا سيدنا أنا قاعد من ضحوة النهار إلى الساعة، فقال له: ويلك؟ أصبر حتى

أخرا، أصبر حتى أخرا، اصبر حتى أخرا، ثم توضأ ليصلي فلم يهنئه فقال: ادخل دخلت بطنك الشمس، فقد والله حيرتني وجننتني، فلما دخل أعطاه الرقعة فقرأها وقال: ويلك، ما اسم هذا الملاح؟ فقال: الدابة يا سيدي، فقال: وأي شيء يقربه؟ ويلك فما أقف عليه، أرى خمسة آلاف سابلٍ سرقين. فقال له: وما السرقين؟ فقال: خرء البقر والغنم.

قال: يا ماص بظر أمه، أنا شاهد الخرء؟ ونهض إليه وهو مغتاظ فأخذ ينتف ذقنه ويضرب رأسه وفكه إلى إن جرى الدم من فيه وأخرجه، وجاء إلى الرئيس رحمه الله فحدقه بما جرى عليه فقال: يا هذا، الشهود يستشهدون في الخرا؟ أنت بالله أحمق. وجاءنا القاضي بعد العصر يشكو من جميلة أزه له وتوكله به، ويعتذر مما جره جنونه عليه، وما انتهى معه إليه، فضحكنا عليه ومرت لنا ساعة طيبة بما أورده عليه.

قال: وحدثني الرئيس أب والحسن - رضي الله عنه - قال: حضر عندي القاضي أبو القاسم التوخي يوماً وقد هرب الكافي أبو عبد الله القائي ببغداد، وخرج إلى الأنبار، ونظر أبا سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم وكان التنوخي مائلاً إلى بني عبد الرحيم ونابياً عن أضدادهم. فبدأ بذكر القنائي - وكان لي صديقاً - بقبيحٍ وزاد وخشن وخبط، فغمض عيني واستلقيت على مخدتي لعله يكف ويقطع، فعلم ذاك مني فقفز إلى يحركني ويقول: والله ما أنت نائم، ولكنك ما تحب أن تسمع في القنائي قبيحاً. فقلت: ما أحب أن أسمع في القنائي ولا في غيره قبيحاً، وقد تناومت لتقطع فلم تفعل ومضى، وبلغ القنائي المجلس بعينه. وعاد القنائي إلى بغداد ناظراً، ودخل التنوخي إليه مسلماً وخادماً فقال له: يا قاضي، ما فعلت بك قبيحاً يقتضي ذكرك لي وطعنك في، فقال: يا مولانا أنا مجنون. قال: إذا كنت مجنوناً فالمارستان لمثلك عمل، وفي حملك إليه ومداواتك فيه ثواب ومصلحة وكف لك عن الناس وأذاهم بجنونك وخباطك، يا أنصاري - للعريف على باب - احمله إلى المارستان واحبسه مع إخوانه المجانين، فأخذ وحمل إلى المارستان وحبس فيه، قال الرئيس: وعرفت القصة فركبت إلى القنائي ولحقني المرتضى

والرؤساء من الناس ولم نفارقه حتى أفرج عنه وأطلقه. واجتاز القاضي أبو القاسم يوماً فرأى في طريقه كلباً رابضاً فقال له: اخسأ اخسأ اخسأ فلم يبرح، فقال اخسأ، وعاد عنه ومضى. قال أبو الحسن: لقيته يوماً بنت ابن العلاف زوجة أبي منصور بن المزرع، وكانت عاهرةً إلى الحد الذي تلبس الجبة المضربة، وتتعمم بالقياد وتأخذ السيف والدرقة، وتخرج ليلاً فتمشي مع العيارين وتشرب إلى أن تسكر وتعود سحراً إلى بيتها، وربما انتهى بها السكر إلى الحد الذي لا تملك معه أمر نفسها فيحملها العيارون إلى دار زوجها على تلك الحال. فقال له يا قاضي: ما معنى هذه التاء التي تكتبها على الدراهم؟ وكان إليه العيار في دار الضرب، فقال لها: هذا شيء يعملونه كالعلامة، أن التنوخي متولي العيار فيأخذون التاء من أول نسبتي، فقالت: كذبت وأثمت أيها القاضي، تريد أن أقول لك معناها؟ فقال لها: قولي تاست النساء، فقالت: معناها يا قاضي: تنيكها يا قاضي، فضرب حماره ومضى وهو يقول لها: لحية زوجك في حجري، لحية زوجك في حجري. قال: ولقيه إنسان ومعه كتاب في الطريق فأعطاه إياه وسأله أن يشهد فيه فقال: هات دواةً ومحبرةً. فقال: ما معي، فقال ويحك ما صبرت أن أنزل إلى داري وأشهد عليك بدواتي؟ بل اعترضتني في الطريق وليس معك ما تكتب منه ويلك، من يريد أن ينيك في الدهليز يجب أن يكون أيره قائماً مثل دستك الهاون وتركه ومضى.

علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف

المدائني أبو الحسن مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد منافٍ، بصرى سكن المدائن ثم انتقل عنها إلى بغداد، فلم يزل بها إلى حين وفاته. روى عنه الزبير ابن بكارٍ وأحمد بن أبي خيثمة، وأحمد بن الحارث الخزاز، والحارث ابن أبي أسامة وغيرهم. حدث أبو قلابة قال: حدثت أبا عاصمٍ النبيل لحديث فقال: عمن؟ فإنه حسن، فقلت: ليس له إسناد ولكن حدثينه أبو الحسن المدائني. فقال لي: سبحان الله، أبو الحسن إسناد.

ولد المدائني سنة خمسٍ وثلاثين ومائةٍ، ومات سنة

خمسٍ وعشرين ومائتين.
قال الحارث بن أسامة: سرد المدائني الصوم قبل موته بثلاثين سنةً، وإنه كان قد قارب المائة سنة فقيل له في مرضه: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أعيش، وكان مولده ومنشؤه البصرة، ثم صار إلى المدائن بعد حينٍ، ثم صار إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن مات، واتصل بإسحاق بن إبراهيم الموصلي فكان لا يفارق منزله، وفي منزله كانت وفاته، وكان ثقةً إذا حدث عن الثقات.
نقلت من خط عمر بن محمد بن سيفٍ الكاتب البغدادي، حدثنا اليزيدي أبوعبد الله محمد بن العباس ابن محمد بن أبي محمدٍ قال: حدثني أحمد بن زهير بن حربٍ قال: كان أبي ويحيى بن معينٍ ومصعب الزبيدي يجلسون العشيات على باب مصعبٍ قال: فمر عشيةً من العشيات على باب مصعبٍ رجلٌ على حمارٍ فارهٍ وبزةٍ حسنةٍ، فسلم وخص بمسائله يحيى ابن معينٍ. فقال له يحيى: إلى أين يا أبا الحسن؟ فقال: الى هذا الكريم الذي يملأ كمي من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهم. فقال: ومن هذا يا أبا الحسن؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال: فلما ولى قال يحيى بن معينٍ: ثقة ثقة ثقة. قال: فسألت أبي فقلت من هذا الرجل؟ فقال المدائني.
وحدث أبو أحمد العسكري في كتاب التصحيف له عن أحمد بن عمارٍ عن بن أبي سعدٍ الوراق قال: العباس بن ميمون قال: قال لي ابن عائشة: جاءني أبو الحسن المدائني فتحدث بحديث خالد بن الوليد حين أراد إن يغير على طرفٍ من أطراف الشام، وقول الشاعر في دليله رافعٍ:

للـه در رافـعٍ أنـي اهـتـدى فوز من قراقـرٍ إلـى سـوى
خمساً إذا ما سارها الجيش بكى

فقال: الجيش فقلت: لو كان الجيش لكان بكوا، وعلمت إن علمه من الصحف. قال العسكري: أما قول ابن عائشة إن الرواية: الجيش بكى، فهو كما قال، وهو صحيح، وأما قوله لو كان الجيش لكان بكوا فقد وهم في هذا، ويجوز للجيش بكى فيحمل على اللفظ، وقد قال طفيل الغنوي أو أوس بن حجرٍ:

إن يك عار بالقـنـان فراري فإن الجيش

أتـيتـه قد فر أجمع

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: قرأت بخط ابن الإخشيد: كان المدائني متكلماً من غلمان معمر بن الأشعث قال: وحفص الفرد وأبو شمرٍ وأبو الحسن المدائني وأبو بكرٍ الأصم وأبو عامرٍ وعبدٍ الكريم بن روحٍ ستة كانوا غلمان معمر بن الأشعث.

حدث المدائني قال: أمر المأمون أحمد بن يوسف بإدخالي عليه، فلما دخلت ذكرعلي بن أبي طالبٍ عليه السلام، فحدثته فيه بأحاديث إلى أن ذكر لعن بنيٍ أمية له، فقلت: حدثني أبو سلمة المثنى بن عبد الله أخو محمد بن عبد الله الأنصاري قال: قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً يسمى علياً ولا حسناً ولا حسيناً، وإنما أسمع معاوية ويزيد والوليد، قال: فمررت برجلٍ جالسٍ على باب داره وقد عطشت فاستسقيته فقال: يا حسن اسقه، فقلت له: أسميت حسناً؟ فقال: أي والله، إن لي أولاداً أسماؤهم حسن وحسين وجعفر، فإن أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه، وإنما سميت أولادي بأسماء أعداء الله، فإذا لعنت إنما ألعن أعداء الله فقلت له: ظننتك خير أهل الشام، وإذا جهنم ليس فيها شر منك. فقال المأمون: لا جرم، قد ابتعث الله عليهم من يلعن أحياءهم وأمواتهم، ويلعن من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، يعني الشيعة. فهرست كتب المدائني نقلاً من كتاب ابن النديم.

وذكر أنه نقله من خط ابن الكوفي كتبه في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم: كتاب أمهات النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب صفة النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب أخبار المنافقين، كتاب عهود النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب تسمية المنافقين، ومن نزل فيه القرآن منهم ومن غيرهم، كتاب تسمية الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم وتسمية المستهزئين، كتاب رسائل النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، كتاب آيات النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب إقطاع النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب فتوح النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب صلح النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب خطب النبي

صلى الله عليه وسلم، كتاب عهود النبي صلى الله عيه وسلم، كتاب المغازي. وزعم أبو الحسن بن الكوفي أنها عنده في ثمانية أجزاء جلود بخط ابن عباسٍ اليابس، وزعم تحت هذا الفصل وأخرى في جزأين تأليف أحمد بن الحارث الخزاز. كتاب سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الوفود يحتوي على وفود اليمن، ووفود مضر، ووفود ربيعة، كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب خبر الإفك، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب السرايا، كتاب عمال النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقات، كتاب ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب حجة أبي بكرٍ رضي الله عنه، كتاب خطب النبي صلى الله عليه وسلَّم، كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب الخاتم والرسل، كتاب من كتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً أو أماناً، كتاب أموال النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه ومن كان يرد عليه الصدقة من العرب.

أخبار قريش: كتاب نسب قريشٍ وأخبارها، كتاب العباس بن عبد المطلب، كتاب أخبار أبي طالبٍ وولده، كتاب خطب علي بن أبي طالبٍ كرم الله وجهه، كتاب عبد الله ابن عباسٍ رضي الله عنهما. كتاب علي بن عبد الله بن العباس، كتاب آل أبي العاص، كتاب أبي العيص، كتاب خبر الحكم بن أبي العاص، كتاب عبد الرحمن بن سمرة، كتاب ابن أبي عتيقٍ، كتاب عمرو بن الزبير، كتاب فضائل محمد بن الحنيفة، كتاب فضائل بن أبي جعفر بن أبي طالب، كتاب فضائل الحارث بن عبد المطلب، كتاب عبد الله ابن جعفرٍ، كتاب معاوية بن عبد الله بن جعفر، كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفرٍ، كتاب أمر محمد بن عليٍ بن عبد الله بن عباسٍ، كتاب العاص بن أمية، كتاب عبد الله بن عامر بن كريزٍ، كتاب بشر ابن مروان بن الحكم، كتاب عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، كتاب هجاء حسان لقريشٍ، كتاب فضائل قريشٍ، كتاب عمرو بن سعيد بن العاص، كتاب يحيى بن عبد الله ابن الحارث، كتاب أسماء من قتل من الطالبيين، كتاب أخبار زياد ابن أبيه، كتاب مناكح زيادٍ وولده ودعوته، كتاب الجوابات ويحتوي على جوابات

قريشٍ، وجوابات مضر، وجوابات ربيعة، وجوابات الموالى، وجوابات اليمن.
كتبه في أخبار مناكح الأشراف وأخبار النساء: كتاب الصداق، كتاب الولائم، كتاب المناكح، كتاب النواكح، كتاب المغتربات، كتاب القينات، كتاب المرادفات من قريشٍ، كتاب من جمع بين أختين، ومن تزوج ابنه امرأته، ومن جمع أكثر من أربعٍ، ومن تزوج مجوسيةً، كتاب من كرهت مناكحته، كتاب من قتل عنها زوجها، كتاب من نهيت عن تزويج رجلٍ فتزوجته، كتاب من تزوج من الأشراف في كلفٍ، كتاب من هجاها زوجها أو شكاها، كتاب مناقضاتٍ الشعراء وأخبار النساء، كتاب من تزوج في ثقيفٍ من قريشٍ، كتاب الفاطميات، كتاب من وصف امرأةً فأحسن، كتاب الكلبيات، كتاب العواتك.
كتبه في أخبار الخلفاء: كتاب من تزوج من نساء الخلفاء، كتاب تسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم، كتاب تاريخ أعمار الخلفاء، كتاب حلي الخلفاء، كتاب أخبار الخلفاء الكبير ابتدأه بأخبار أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، وختمه بأخبار المعتصم. كتبه في الأحداث: كتاب الردة، كتاب الجمل، كتاب الغارات، كتاب النهروان، كتاب الخوارج، كتاب خبر ضابئ بن الحارث البرجمي، كتاب توبه بن مضرسٍ، كتاب بني ناجيه ومصقلة ابن هبيرة، كتاب مختصر الخوارج، كتاب خطب علي كرم الله وجهه وكتبه إلى عماله، كتاب عبد الله بن عامر الحضرمي، كتاب اسماعيل بن هبار، كتاب عمرو ابن الزبير، كتاب مرج راهط، كتاب الربذة ومقتل خبيشٍ، كتاب أخبار الحجاج ووفاته، كتاب عباد بن الحصين، كتاب حرة واقمٍ، كتاب ابن الجارود برستقباذ، كتاب مقتل عمرو بنٍ سعيد ين العاص، كتاب زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي، كتاب خلاف عبد الجبار الأزدي ومقتله، كتاب سلم بن قتيبة وروح بن حاتمٍ، كتاب المسور بن عمر بن عبادٍ الحبطي وعمرو بن سهلٍ، كتاب مقتل ابن هبيرة، كتاب يوم سنبيل، كتاب الدولة العباسية، وهو كتاب كبير يشتمل على عدة كتب لم يذكره ابن النديم، ووقع إلى بخط السكري بعضه وقد قرأه على الحارث بن أسامة.
كتبه في الفتوح: كتاب فتوح الشام منذ أيام أبي بكرٍ

وإلى أيام عثمان رضي الله عنهما، كتاب فتوح العراق منذ أيام أبي بكر وإلى آخر أيام عمر رضي الله عنهما، كتاب خبر البصرة وفتوحها وفتوح ما يقاربها من دهستان والأهواز وماسبذان وغير ذلك، كتاب فتوح خراسان وأخبار أمرائها كقتيبة ونصر بن سيارٍ وغيرهما، كتاب نوادر قتيبة بن مسلمٍ، كتاب ولاية أسد بن عبد الله القسري، كتاب ولاية نصر بن سيارٍ، كتاب ثغر الهند، كتاب أعمال الهند، كتاب فتوح سجستان، كتاب فارس، كتاب فتح الأبلة، كتاب أخبار أرمينية، كتاب كرمان، كتاب كابل وزابلستان، كتاب القلاع والأكراد، كتاب عمان، كتاب فتوح جبال طبرستان أيام الرشيد، كتاب فتوح مصر، كتاب الري وأمر العلوي، كتاب أخبار الحسن بن زيدٍ وما مدح به من الشعر وعماله، كتاب فتوح الجزيرة، كتاب فتوح الباميانى، كتاب فتوح الأهواز، كتاب أمر البحرين، كتاب فتح شهر كند، كتاب فتح برقة، كتاب فتح مكران، كتاب فتوح الحيرة، كتاب موادعة النبوة، كتاب خبر سارية بن زنيمٍ، كتاب فتوح الري، كتاب فتوح جرجان وطبرستان.

كتبه في أخبار العرب: كتاب البيوتات، كتاب الجيران، كتاب أشراف عبد القيس، كتاب أخبار ثقيفٍ، كتاب من نسب إلى أمه، كتاب من سمي باسم أمه، كتاب الخيل والرهان، كتاب بناء الكعبة، كتاب خبر خزاعة، كتاب المدينة وجبالها وأوديتها.

كتبه في أخبار الشعراء وغيرهم: كتاب أخبار الشعراء، كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء، كتاب العمائر، كتاب الشيوخ، كتاب الغرماء، كتاب من هادن أوغزا، كتاب من اقترض من الأعراب في الديوان فندم وقال شعراً، كتاب المتمثلين، كتاب من تمثل بشعرٍ في مرضه، كتاب الأبيات التي جوابها كلام، كتاب النجاشي، كتاب من وقف على قبر فتمثل بشعر، كتاب من بلغه موت رجلٍ فتمثل بشعرٍ، كتاب من بلغه موت رجلٍ فتمثل شعراً أو كلاماً، كتاب من تشبه من النساء بالرجال، كتاب من فضل الأعرابيات على الحضريات، كتاب من قال شعراً على البديهة، كتاب من قال شعراً في الأوابد، كتاب الاستعداء على الشعراء، كتاب من قال شعراً فسمى به، كتاب من قال في الحكومة من الشعراء،

كتاب تفضيل الشعراء بعضهم على بعضٍ، كتاب من ندم على المديح ومن ندم على الهجاء، كتاب من قال شعراً فأجيب بكلامٍ، كتاب الأسود الدؤلي، كتاب خالد بن صفوان، كتاب مهاجاة عبد الرحمن بن حسان للنجاشي، كتاب قصيدة خالد بن يزيد في الملوك والأحداث، كتاب أخبار الفرزد ق، كتاب قصيدة عبد الله بن اسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن، كتاب خبر عمران بن حطان.

ومن كتبه المؤلفة: كتاب الأوائل، كتاب المتيمين، كتاب التعازي، كتاب المنافرات، كتاب الأكلة، كتاب المسيرين، كتاب اللواطين، كتاب القيافة والفأل والزجر، كتاب من جرد الأشراف، كتاب المروءة، كتاب الحمقى، كتاب اللواطين، كتاب الجواهر، كتاب المغنين، كتاب المسمومين، كتاب كان يقال، كتاب ذم الحسد، كتاب من وقف على قبرٍ، كتاب الخيل، كتاب من استجيبت دعوته، كتاب قضاة أهل المدينة، كتاب قضاة أهل البصرة، كتاب أخبار رقبة بن مصقلة، كتاب مفاخرة العرب والعجم، كتاب مفاخرة أهل البصرة والكوفة، كتاب ضرب الدراهم والصرف، كتاب أخبار إياس بن معاوية، كتاب خبر أصحاب الكهف، كتاب خطبة واصلٍ، كتاب إصلاح المال، كتاب آداب الإخوان، كتاب البخلٍ، كتاب المقطعات المتخيرات، كتاب أخبار ابن سيرين، كتاب الرسالة إلى ابن داؤدٍ، كتاب النوادر، كتاب المدينة، كتاب مكة، كتاب المخضرمين، كتاب المراعي والجراد ويحتوي على الكور والطساسيج وجباياتها.

علي بن محمد بن وهب المسعري

صاحب أبي عبيدٍ القاسم بن سلام. روى عن أبي عبيد أنه قال: هذا الكتاب - يعني غريب الحديث المصنف - أحب إلى من عشرة آلاف دينارٍ، وعدد أبوابه على ما ذكره ألف بابٍ، وفيه من شواهد الشعر ألف ومائتا بيتٍ.

علي بن محمد بن نصر بن بسامٍ

أبو الحسن العبرتائي الكاتب. وأمه أخت أحمد بن حمدون بن إسمٰاعيل النديم لأبيه وأمه. وقال المزرباني: أمه بنت النديم، وله مع خاله أبي عبد الله حمدون أخبار. وكان حسن البديهة شاعراً ماضياً أديباً لا يسلم من لسانه أحد، وهو معدود في العققة وكان يصنع الشعر في الرؤساء وينحله ابن الرومي وغيره. مات فيما ذكره ابن المزرباني بعد سنة ثلاثمائةٍ بسنتين.

وقال ثابت بن سنانٍ: مات على بن محمد بن بسامٍ في صفر سنة اثنتين وثلاثمائةٍ عن نيفٍ وسبعين سنةً، واستفرغ شعره في هجاء والدهٍ محمد بن بسامٍ والخلفاء والوزراء، وكان مع فصاحته وبيانه لاحظ له في التطويل، إنما تحسن مقطعاتهٍ وتندر أبياته، وهو

من أهل بيت الكتابة، وكان جده نصر بن منصورٍ يتولى ديوان الخاتم والنفقات والأزمة في أيام المعتصم، وكان هو السبب في نكبة الفضل بن مروان، وكان قد هجا الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح لما نفى إلى مكة، فلما ردت الوزارة جلس يوماً للمظالم فمرت في جملة القصص رقعة فيها مكتوب:

وافى ابن عيسى أشد شيءٍ علـى
وكنت أضغنه أهـونـه
ما قدر اللـه لـيس وماسواه فلـيس
يدفـعـه يمـكـنـه

فقال علي بن عيسى: صدق هذا ابن بسامٍ، والله لا ناله مني مكروه أبداً، وكان الغالب على ابن بسامٍ الشعر، ومن حقه أن يذكرَ مع الشعراء، وإنما حملنا على ذكره هاهنا رسائله وماله من التصانيف وهي: كتاب أخبار عمر بن أبي ربيعة تصنيف جيد بالغ في معناه، وجدت أخبار عمر بن أبي ربيعة تصنيف علي بن محمد أبن نصر بن منصور بن بسامٍ وقد روى فيه عن الزبير ابن بكارٍ، وعمر بن شبة، وحماد بن اسحاق، ويعقوب بن أبي شيبة، وأحمد بن الحارث الخزاز، ومحمد بن حبيبٍ وسليمان بن أبي شيخٍ وخاله أحمد بن حمدون، كتاب المعاقرين كتاب ديوان رسائله. كتاب مناقضاتٍ الشعراء، كتاب أخبار الأحوص. ومن شعره الذي قاله ونحله ابن الرومي قوله يخاطب عبيد الله بن سليمان الوزير وقد مات ابنه أبو محمد في سنة أربعٍ وثمانين:

قل لأبي القاسم المرجـى قابلك الدهر بالعـجـائب
مات لك ابن وكـان زينـاً وعاش ذو الشين والمعايب
حياة هذا كـفـقـد هـذا فلست تخلو من المصائب

فبلغت الأبيات عبيد الله فساءته، فدعا البسامي وقال: يا علي، كيف قلت؟ فعلم البسامي أنه مغضب فقال: قلت أيها الوزير:

قل لأبي القاسم المرجـى لن يدفع الموت كف غالب
لئن تولى بـمـن تـولـى وفقده أعظم المـصـائب
لقد تخطت لك الـمـنـايا عن حاملٍ عنك للنـوائب

يعني ابنه ابا الحسين، فسكت عبيد الله ولها عنه. وذكر الصولي في كتاب الوزراء قال: قال أبو الحارث النوفلي الشاعر: كنت أبغض القاسم بن عبيد الله لكفره، ولمكروهٍ نالني منه، فلما قرأت شعر ابن المعتز، وهو شعر - رثى به الحسين أبا محمدٍ - مذكور في أخباره، وشعر ابن بسامٍ، وكان ابن بسامٍ قد قال:

معاذ الله من كذبٍ ومـين لقد أبكت وفاتك كل عين

ولكن قد تنسينـا الـرزايا ويعضدنا بقاء أبي الحسين

قلت على لسان ابن بسامٍ وأشعتها عليه وأنفذتها إليه: قل لأبي القاسم المرجى الأبيات.

وحدث السلامي عن أبي القاسم المجمع بن محمد بن المجمع قال: حدثني ابن حمدون النديم قال: كان المعتضد أمر بعمارة البحيرة واتخاذ رياض حواليها، وإنفق على الأبنية بها ستين ألف دينارٍ، وكان يخلو فيها مع جواريه، وفيهنَّ جارية يقال لها دريرة، فقال البسامي:

ترك الناس بـحـيرة وتخلى في البحـيرة
قاعداً يضرب بالـز رب على حر دريره

وبلغت الأبيات المعتضد، فلم يظهر لأحدٍ أنه سمعها، وأمر بتخريب ما استعمره من تلك العمارات والأبنية. قال أحمد بن حمدون: فكنت ألاعب المعتضد بالشطرنج ذات يومٍ إذ دخل عليه القاسم بن عبيد الله وهو وزيره، فاستأمره في شيء وانصرف، فلما ولَّى أنشد المعتضد قول البسامي في القاسم:

حياة هذا كـمـوت هـذا فلست تخلو من المصائب

وجعل يكرر هذا البيت، وعاد القاسم إليه في شغل والمعتضد مشغول باللعب، ولم يعلم بحضوره وهو يردد البيت، فاحتلت حتى أعلمته حضوره، فرفع رأسه إليه واستحيا منه حتى تبين ذلك في وجهه ثم قال: يا أبا الحسين: - وهو أول ما كناه للخجل الذي تداخله - لم لا تقطع لسان هذا الماجن وتدفع شره عنك؟ فانصرف القاسم مبادراً إلى مجلسه ومنتهزاً للفرصة في ابن بسامٍ وأمر بطلبه.

قال ابن حمدون: فدهشت وارتعشت يدي في اللعب خوفاً مما يلحق ابن بسامٍ للقرابة التي بيني وبينه: فقال المعتضد: ما لك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، القاسم بن عبيد الله لا يصطلى بناره، وكأني به وقد قطع لسان البسامي حنقاً عليه، وهو أحد النبلاء الشعراء فيكون ذلك سبةً على أمير المؤمنين، فأمر بإحضار القاسم وسأله عما فعله في أمر ابن بسامٍ فقال: قد تقدمت إلى مؤنسٍ باحضاره لأقطع لسانه، فقال: يا أبا الحسين، إننا أمرناك أن تقطع لسانه بالبر والصلة والتكرمة ليعدل عن هجائك إلى مدحك. فقال يا أمير المؤمنين: لو عرفته حق المعرفة وعلمت ما قاله لاستجزت قطع رأسه، عرض بما قاله في المعتضد ودريرة، فتبسم المعتضد وقال: يا أبا الحسين، إنما أمرنا بتخريب البحيرة لذلك، فتقدم أنت بإحضاره وأخرج ثلاثمائة دينارٍ فإن ذلك أولى وأحسن من غيره. قال: فأحضره القاسم بعد ثالثةٍ وخلع عليه وولاه بريد الصيمرة وما والاها، فبقي في عمله إلى آخر أيام المعتضد، ثم جمح به طبعه إلى إعادة الإساءة فقال:

أبلغ وزير الإمامـعـنـي وناد يا ذا المصـيبـتـين
يموت حلف الندى ويبقـى حلف المخازي أبو الحسين
فأنت من ذاعمـيد قـلـبٍ وأنت من ذا سخين عـين
حياة هذا كـمـوت هـذا فالطم على الرأس باليدين

قال جحظة: كان ابن بسامٍ يفخر بقوله في:

يا من هجوناه فغنانـا أنت وحق الله أهجانا

فقلت: هذا معنى لم يسبق إليه خاطر ابن بسامٍ وإن كان قد أتى به مطبوعاً، وإنما أخذه من قول الرومي في هجائه شنطف:

وفي قبحها كافٍ لنا من كيادها ولكنها في فعلها لـم تـردد

ولو علمت ما كايدتنا لقبحهـا بأنفاسها والوجه والطبل واليد

وقال ابن بسام في الوزير الخاقاني:

وزير ما يفيق مـن الـرقـاعة يولى ثم يعـزل بـعـد سـاعة

إذا أهل الـرشـا صـاروا إلـيه فأحظى القوم أوفرهم بضاعـه

فلا رحماً تقرب منـه خـلـقـاً سوى الورق الصحاح ولا شفاعة

وليس بمنكرٍ ذا الفـعـل مـنـه لأن الشيخ أفلت من مـجـاعـه

حدث أبو نصرٍ أحمد بن العلاء الشيرازي الكاتب قال: لما تقلد أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الوزارة كنت أجالسه وأؤانسه، فحدثني يوماً أن أباه حدثه قال: تقلدت مصر وكان بيني وبين أبي الحسين بن بسام مودة ورضاع، ونحن مختلطون وأنا بمصر يوماً فما شعرت إلا بابن بسامٍ قد دخل إلي متقلداً للبريد، فأفهمته أحوالي، وقاسمته أكثر مروءتي وأموالي، وتطلبت الخلاص من لسانه بكل شيءٍ يمكن، وأوصيت حاجبي ألا يحجبه عني ولو كنت مع زوجتي، فجاء يوماً وأنا نائم فقال له الحاجب: ادخل، فدخل فوجدني نائماً فاستدعى دواةً وكتب شيئاً وتركه وانصرف. فلما انتبهت عرفني حاجبي ذلك، فأخذت الرقعة فإذا فيها:

محتجب دون من يلم به وليس للخارجات حجاب

لأن للخارجات منفـعةً تأتيه والداخلون طلاب

قال: فبعثت أعرف خبرة لأعاتبه فإذا هو تحمل وسار عن البلد، فكتبت إليه أدرايه وألاطفه ليرجع فلم يجب.

قال التنوخي: حدثني ابن ابي قيراطٍ علي بن هشامٍ، حدثني أبو علي مقلة قال: كنت أحقد ابن بسامٍ لهجائه إياي، فخوطب ابن الفراتً في وزارته الأولى في تصريفه، فاعترضت وقلتً: إذا صرف فلا يحتبس الناس على مجالسنا وقد افترقت، فإذا لم

يضره الوزير فلا أقل من ألا ينفعه، فامتنع من تصريفه قضاء لحقي، فبلغ ذلك ابن بسامٍ فجاءني وخضع لي ثم لازمني نحو سنةٍ حتى صار يختص بي ويعاشرني على البريد، ومدحني فقال:

يا زينة الدين والدنيا والأمر والنهي
وما جـمـعـا والقرطاس والقلـم
إن ينسئ الله في من خدمتي لك ما
عمري فسوف ترى يغني عن الخـدم
أبا عليٍ لقد طوقـتـنـي طوق الحمامة لا تبلى
مـنـنـاً على القـدم
فاسلم فليس يزيل عمن يبث الأيادي في
اللـه نـعـمـتـه ذوي النـعـم

وحدث محمد بن يحيى الصولي أنه سمع علي بن محمد ابن بسامٍ يقول: كنت أتعشق خادماً لخالي أحمد بن حمدون فقمت ليلة لأدب إليه، فلما قربت منه لسعتني عقرب فصرخت فقال خالي: ما تصنع هاهنا؟ فقلت: جئت لأبول. فقال: صدقت ولكن في است غلامي، فقلت لوقتي:

ولقد سريت مع حصلته من غـادر
الظلام لموعدٍ كـذاب
فإذا على ظهر سوداء قد عرفت
الطريق مغذة أوان ذهابي
لا بارك الرحمان فيها دبـابة دبـت إلـى
عقرباً دبـاب

فقال خالي: قبحك الله، لو تركت المجون يوما لتركته في هذه الحال. ولابن بسامٍ في علي بن عيسى الوزير:

رجوت لك الوزارة فلما كان منهـا مـا
طول عمري رجـوت
تقدمنـي أنـاس لـم يرومون الـكـلام إذا
يكـونـوا دنـوت
فأحببت الممـات يحب الموت فيه فهـو
وكـل عـيش مـوت

ومن شعر ابن بسامٍ من خط السمعاني:

أقصرت عن طلب لما علاني للـمـشـيب
البطالة والصبا قـنـاع
للـه أيام الـشـبـاب لو أن أيام الـشـبـاب
ولـهــوه تـبــاع
فدع الصبا يا قلب مافيك بعد مشيبك
واسل عن الهوى اسـتـمـتـاع
وانظر إلى الدنيا فلقد دنـا سـفـر

بـعـين مـودعٍ وحـان وداع
فالحادثات موكلات والناس بعد الحادثـات
بـالـفـتـى سـمـاع

ولما ولى حامد بن العباس وزارة المقتدر ورتب معه علي بن عيسى يدير الأمور بين يديه، قال ابن بسامٍ:

يا بن الفرات تعزه قد صار أمرك آية
لما عزلت حصلنـا على وزيرٍ بـداية

وعلى بن بسامٍ القائل يمدح النحو:

رأيت لسان المرء وعنوانه فانظر بماذا
وافد عـقـلـه تـعـنـون؟
فلا تعد اصلاح يخـبـرعـمـا عـنـده
اللـسـان فـإنـه ويبـين
ويعجبني زي الفتـى فيسقط من عيني
وجـمـالـه سـاعة يلـحـن
على أن للأعراب حـداً سمعت من الإعراب
وربـمـا ما ليس بحسن
ولا خير في اللفظ ولافي قبيح اللحن
الكريه استماعه والقصـد أزين

ومن قصيدةٍ له يهجو فيها الكتاب:

وعبدون يحكم في المسلمين ومن مثله تؤخذ الجالـيه
ودهقان طيٍ تولى العراقً وسقى الفرات وزر فانيه
وحامد يا قوم لـو أمـره إلى لألزمتـه الـزاوية
نعم ولأرجعته صـاغـراً إلى بيع رمان خسراوية
أيارب قد ركب الأرذلون ورجلي من بينهم ماشية
فإذا كنت حاملها مثلـهـم وإلا فأرجل بني الزانـية

قال أبو الحسين علي بن هشام بن أبي قيراطٍ: سمعت ابن بسامٍ ينشد في وزارة ابن الفرات:

إذا حكم النصارىً في الفـروج وباهوا بالبغال وبـالـسـروج
فقل للأعـور أوانك إن عزمت على

الـدجـال هـذا الخروج

قال أبو الحسين بن هشام: حدثني زنجي الكاتب، حدثني ابن بسام قال: كنت أتقلد البريد بقلم في أيام عبيد الله بن سليمان والعامل بها أبو عيسى أحمد بن محمد ابن خالدٍ المعروف بأخي أبي صخرةٍ، فأهدى الي في ليلة عيد الأضحى بقرةً للأضحية، فاستقللتها ورددتها وكتبت إليه:

كم من يدٍ لي إليك سالـفةٍ وأنت بالحق غير معترف

نفسك أهديتها لأذبحـهـا فصنتها عن مواقع التلف

علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي

المعروف بابن الكوفي صاحب ثعلبٍ والخصيص به. وهو من أسد قريشٍ، وهو أسد بن عبد العزي بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب رهط الزبير ابن العوام، وهوصاحب الخط المعروف بالصحة المشهور باتقان الضبط وحسن الشكل، فإذا قيل: نقلت من خط ابن الكوفي فقد بالغ في الاحتياط، وكان من أجل أصحاب ثعلبٍ. مات في ذي القعدة سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائةٍ، ومولده سنة أربعٍ وخمسين ومائتين، وكان ثقةً صادقاً في الرواية وحسن الدراية، وله من الكتب: كتاب الهمز رأيته أنا بخطه، كتاب معاني الشعر واختلاف العلماء فيه، كتاب الفرائد والقلائد في اللغة. قال مؤلف الكتاب: ورأيت بخطه عدة كتبٍ فلم أر أحسن ضبطاً وإتقاناً للكتابة منه، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطاً، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرارٍ: صح صح صح، فكان من جماعي الكتب وأرباب الهوى فيها. وذكره أبو الحسن محمد بن جعفرٍ التميمي المعروف بابن النجار في كتاب الكوفة من تصنيفه قال: ومن أصحاب ثعلبٍ أبو الحسن أحمد بن محمدٍ الكوفي الأسدي الذي خطه اليوم يؤتدم به، وبيع جزازات كتبه ورقاع سؤالاته العلماء، كل رقعةٍ بدرهمٍ، وأنفق على العلم ثلاثين ألف درهمٍ على ثعلبٍ وحده، هكذا قال أحمد بن محمدٍ وأظنه سهواً منه، فإن ابن الكوفي المشهور بجودة الضبط اسمه بخطه على عدةٍ من كتبه، وهو علي ابن محمد بن عبيدٍ الكوفي الأسدي كما قدمنا، فإن صحت رواية ابن النجار فهو غير الذي نعرفه نحن، فإني لم أر لهذا المسمى ذكراً مع كثرة بحثي وتنقيري، ووجدت جزازةً من إملاء أبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي اللغوي - وله في هذا الكتاب ترجمة - ما صورته: ولأبي الهيذام إلى أبي الحسن بن الكوفي النحوي البغدادي رحمه الله:

أبا حسن أراك تمد حبـلـي لتقطعه وأرسله بجـهـدي

وأتبعه إذا قصر احـتـياطـاً وأنت تشد حبـلـك أي شـد

أخي فكم يكون بقاء حـبـلٍ يتلتـل بـين إرسـالٍ ومـد

تعالى الله ما أجفى زمـانـاً بقيت له وأنكد فـيه جـدى

أظن الدهر يقصدنـي لأمـرٍ يحاوله ويطلبنـي بـحـقـدٍ

إذا ذهبت بشكلي مذاهبه فكيف ألوم

عـن ودادي ضـدي?
سأصبر طائعاً وأغض وأحفظ عهد مطرحٍ لعهدي
وأقصد أن أحصل لي أعز به على خطئي صديقاً وعمدي
فإن أظفر بذاك فأي ونيل غنيمةٍ وثقـوب كـنـزٍ زنـد
وإلا كان حسن الصبر بحسن مثوبةٍ وبنـاء أحرى مـجـد
ألا لله ما أصـبـحـت من الخلطاء من تعبٍ فـيه وكـد
لقاء بالجميل وحسن وإنصاف يشاب بخلف بـشـرٍ وعـد
وعلم لا يقاس إلـيه بكل طريقةٍ وبـكـل عـلـم حـد
وإغفال لما أولى تفقده بـذي أدبٍ وأحـجـى وحـشـد
فياللـه يا لـلـنـاس يا عجائب بين تقـربةٍ وبـعـد لـل

ومن الأخلاق إذ علاقمها مـجـدحةً مزجت فصارت بـشـهـد
أراني بين منزلـتـين سوى أحداهما ثـقة مـا لـي لـقـصـد
فإن أرد الأنـيس وإن أرد التعزز أبـق أعـش ذلـيلاً وحـدي

علي بن محمد بن الشاه الطاهري

من ولد الشاه بن ميكال وكان أديباً طيباً مفاكهاً في نهاية الظرف والنظافة، يسلك مسلك أبي العنبس الصيمري في تصانيفه، وله من التصانيف: كتاب دعوة التجار، كتاب فخر المشط على المرآة، كتاب حرب الجبن مع الزيتون، كتاب الرؤيا، كتاب اللحم والسمك، كتاب عجائب البحر، كتاب قصيدة: وخيار يا مكانس. ولما لم أجد له ما يكتب وجدت في كتاب الرياض للمرزباني: أنشدني أحمد بن إبراهيم بن الشاه الطاهري:

فؤادي عليل وليلي طويل ونومي قليل
وجسمي نحيل
وقلبي غليل ودائي وسقمي دليل على دخـيل ما أقول

وطرفي كليل فما لي مقيل وأمري جليل فصبر جميل

علي بن محمد بن عبدوس الكوفي النحوي

ذكره محمد بن اسحاق، وله من الكتب: كتاب الشعر بالعروض. كتاب البرهان في علل النحو. كتاب معاني الشعر.

علي بن محمد أبو القاسم الإسكافي

من أهل نيسابور، ذكره الثعالبي فقال: هو لسان خراسان وعينها، وواحدها في الكتابة والبلاغة، وممن لم يخرج مثله في الصناعة والبراعة، وكان تأدب بنيسابور عند مؤدبٍ بها يعرف بالحسن بن مهرجان من أعرف المؤدبين بأسرار التأديب والتدريس، وأعلمهم بطريق التدريج إلى التخريج، ثم حرر مديدةً في بعض الدواوين فخرج منقطع القرين، واسطة عقد الفضل، ونادرة الزمان، وبكر الفلك كما قال فيه الهزيمي:

سبق الناس بياناً فـغـدا وهو بالإجماع بكر الفلك

أصبح الملك به متسـقـاً لسليل الملك عبد الملـك

ووقع في ريعان أمره وعنفوان عمره إلى أبي علي الصاغاني واستأثر به واستخلصه لنفسه، وقلده ديوان رسائله، فحسن خبره، وسافر أثره، وكانت كتبه ترد على الحضرة في نهاية الحسن والنضرة، فتقع المنافسة فيه، ويكاتب أبوعليٍ في إيثار الحضرة به، فيتعلل ويتسلل لواذاً، ولا يخرج عنه إلى أن كان من كشف أبي علي قناع العصيان، وإنهزامه في وقعة خرجيك إلى الصغانيان ما كان، وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي، فحبس في القهندز وقيدج مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه. ثم إن الأمير الحميد نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ويقف على خبيئة صدره، فأمر أن يكتب إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها: إن أبا العباس الصاغاني قد كتب إلى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاس لتتولى له كتابة الكتب السلطانية، فما رأيك في ذلك؟ فوقع في الرقعة: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، فلما عرض توقيعه على الحميد حسن موقعه منه وأعجب به، وأمر بإطلاقه والخلع عليه، وإقعاده في ديوان الرسائل خليفةً لأبي عبد الله بن الحسين بن العميد الملقب بكله، وهو والد أبي الفضل بن العميد، وكان الاسم للعميد والعمل لأبي القاسم، وعند ذلك قال بعض مجان الحضرة:

تبظرم الشـيخ كـلـه ولست أرضى ذاك له

كأنـه لـم ير مـــن قعد عـنـه بـدلـه

والله إن دام عـلـى هذا الجنون والبـلـه

فإنـــه أول مـــن ينتف منه الـبـسـلة

وكان أبو القاسم يهجوه فقال فيه وكان يحضر الديوان في محفةٍ لسوء أثر النقرس على قدمه:

يا ذا الذي ركب المحف فة جامعاً فيها جهازه

أترى الزمان يعيشنـي حتى يرينها جنـازه?

فلم تطل الأيام حتى أدركت العميد منيته، وبلغ أبو القاسم أمنيته، وتولى العمل برأسه، وعلا أمره وبعد صيته، وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة، وازداد على الأيام تبحراً في الصناعة، ويحكي أن الحميد أمره ذات يومٍ بكتب كتابٍ إلى بعض الأطراف وركب متصيداً واشتغل أبو القاسم عن ذلك لمجلس إنسٍ عقده بين إخوانٍ جمعهم عنده، فحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره باستصحاب الكتاب الذي رسم له كتابته ليعرضه عليه ولم يكن كتبه، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار بياض أو هم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له، وقعد بالبعد عنه فقرأ عليه كتاباً طويلاً سديداً بليغا أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه، وارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من سواد مكتوبه وأمره بختمه، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله.

ومن عجيب أمره: إنه كان أكتب الناس في السلطانيات، فإذا تعاطى الإخوانيات كان قصير الباع، وكان يقال: إذا استعمل ابوالقاسم نون الكبرياء تكلم من السماء، وكان في علو الرتبة في النثر وانحطاطه في النظم كالجاحظ، ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الآفاق.

قال: ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شباباً وآداباً، وغدت الكتابة لفراقه شعثاء، والبلاغة غبراء أكبر فضلاء الحضرة رزيته، وأكثروا مرثيته، فمن ذلك قول الهزيمي الأبيوردي من قصيدة:

ألم تر ديوان الرسائل عطـلـت	لفقدانه أقـلامـه ودفـاتـره
كثغرٍ مضى حاميه ليس لسـده	سواه وكالكسر الذي عز جابره
ليبك علـيه خـطـه وبـيانـه	فذا مات واشيه وذا مات ساحره

علي بن محمد بن أبي الفهم، لتنوخي

داود بن ابراهيم التنوخي أبو القاسم القاضي، قد تقدم نسبه في ترجمة حفيده علي بن المحسن. قال السمعاني: ولد أبو القاسم هذا بأنطاكيه في ذي الحجة سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين، وقدم بغداد في

حداثته في سنة ستٍ وثلاثمائةٍ، وتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث ورواه، وولى القضاة بالأهواز وكورها، وتقلد قضاء إيذج وجند حمص من قبل المطيع لله، ومات بالبصرة في ربيعٍ الأول سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائةٍ ودفن بالمربد. أعرف من التنوخيين هؤلاء الثلاثة، فينبغي أن يذكروا في هذا الكتاب وهم: أبو القاسم وابنه أبو عليٍ المحسن صاحب كتاب نشوار المحاضرة وكتب الفرج بعد الشده، وحفيده أبو القاسم على الأخير شيخ الخطيب وتلك الطبقة، وقد ذكرت كل واحدٍ منهم، وله تصانيف في الأدب منها: كتاب في العروض. قال الخالع: ما عمل في العروض أجود منه. كتاب في علم القوافي، وكان بصيراً بعلم النجوم، قرأه على البناني المنجم صاحب الزيج ويقال: إنه كان يقوم بعشرة علومٍ، وتقلد القضاء بالأهواز وكورة واسط وأعمالها والكوفة، وسقى الفرات وجند حمص وعدة نواحٍ من الثغور الشامية وأرجان وكورة سابور مجتمعاً ومفترقاً، وأول ولايته القضاء رياسةً في أيام المقتدر بالله بعهدٍ كتبه له أبو علي بن مقلة الوزير، وشهد الشهود عنده فيما حكم بين أهل عمله بالحضرة في سنة أربعين وثلاثمائةٍ وشهدوا على إنفاذه. وكان المطيع لله قد عول على صرف أبي السائب عن قضاء القضاة وتقليده إياه، فأفسد ذلك بعض أعدائه، وكان ابن مقلة قلده المظالم بالأهواز والأشراف على العيار بها، وكان أبو عبد الله البريدي قد استخلفه بواسط على بعض أمور النظر، ولم يزل نبيهاً متقدماً يمدحه الشعراء ويجيزهم، ويفضل على من قصده إفضالاً أثر في حاله، وتوفي في سنة اثنتين وأربعين، وصلى عليه الوزير أبو محمدٍ المهلبي وقضى ما كان عليه من الدين وهو خمسون ألف درهمٍ. قال أبو عليٍ التنوخي: كان أبي بحفظ للطائيين سبعمائة قصيدةٍ ومقطوعةٍ سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين والمخضرمين والجاهليين، ولقد رأيت له دفتراً بخطه هو عندي يحتوي على رؤس ما يحفظه من القصائد مائتين وثلاثين ورقةً أثمانٍ منصوريٍ لطافٍ. وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً عظيماً مع ذلك، وكان عظيماً في

الفقه والفرائض. والشروط والمحاضر والسجلات رأس ماله، وكان يحفظ منه ما قد اشتهر من الكلام والمنطق والهندسة، وكان في النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة قدوةً وفي حفظ علم العروض. وله فيه وفي الفقه وغيرهما عدة كتبٍ مصنفة، وكان مع ذلك يحفظ ويجيب فيما يفوق عشرين ألف حديثٍ، وما رأيت أحداً أحفظ منه، ولولا أن حفظه افترق في جميع هذه العلوم لكان أمراً هائلاً. قال أبو منصور الثعالبي: هو من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم، وكان كما قرأته في فصل للصاحب: إن أردت فإني سبحة ناسك، أو أحببت فإني تفاحة فاتكٍ، أواقترحت فإني مدرعة راهبٍ، أو آثرت فإني تحية شاربٍ. وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صرف عنه ورد حضرة سيقف الدولة زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه وأحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتى أعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته. وكان المهلبي الوزير وغيره من رؤساء العراق يميلون إليه جداً ويتعصبون له، ويعدونه ريحانة الندماء، وتاريخ الظرفاء، ويعاشرون منه من تطيب عشرته، وتكرم أخلاقه، وتحسن أخباره، وتسير أشعاره، ناظماً حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب. وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيماً في نهاية الملاحة واللباقة، وكان يؤثره على كافة غلمانه، ويختصه بتقريبه واستخدامه، فكتب إليه بعض يأنس به:

هل على مـن لامـه لاضطرار الشعر في مـدغـم ميم نسيم؟

فوقع تحته نعم، ولملا؟ قال: ويحكى إنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة، والتبسط في القصف والخلاعة، وهم ابن قريعة، وابن معروفٍ، والقاضي الإيذجي وغيرهم، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها، وكذلك كان المهلبي، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس، ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار للعقار، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش، ووضع في يد كلٍ منهم طاس ذهب من ألف مثقالٍ مملوء شراباً قطربلياً وعكبرياً فيغمس لحيته فيه، بل ينقعها حتى تتشرب أكثره، ثم يرش بها بعضهم على بعضٍ، ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم ويقولون كلما كثر شربهم: هرهر وإياهم عن السرى بقوله:

مجالس ترقص القضاة بها وصاحب يخلط إذا أنتشوا في مخانق البرم بشيمةٍ حلوةٍ من

المجون لنا ... الـشـيـم

يخضب بالراح شيبه عبثـاً ... أنامل مثل حمرة العـنـم

حتى تخال العيون شيبتـه ... شييبةً قد مزجتـهـا بـدم

فإذا أصبحوا عادوا إلى عاداتهم في التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء ومن شعر التنوخي هذا:

وجاء لا جـاء الـدجـى كـأنـه ... من طلعة الواشي ووجه المرتقب

وفعل الظـلام بـالـضـياء مـا ... يفعله الحرف بـأبـنـاء الأدب

وله:

وليلة مشتـاقٍ كـأن نـجـومـه ... قد اغتصبت عيني الكرى فهي نوم

كأن عيون الساهرين لطـولـهـا ... إذا شخصت للأنجم الزهر أنجـم

كأن سواد الليل والفجر ضـاحـك ... يلوح ويخفـي أسـود يتـبـسـم

وله:

عهدي بها وضياء الصبح يطفيها ... كالسرج تطفأ أو كالأعين العور

أعجب به حين وافى وهي نيرة ... وظل يطمس منها النور بالنور

وله:

لم أنس دجلة والدجى متصوب ... والبدر في أفق السماء مغرب

فكانهـا فـيه بـسـاط أزرق ... وكأنه فيها طراز مـذهـب

وله:

كتبت وليلى بالسهـاد نـهـار ... وصدري لوراد الهموم صدار

ولي أدمع غزر تفيض كأنهـا ... سحائب فاضت من يديك غزار

ولم أر مثل الدمع ماءً إذا جرى ... تلهب منه في المدامـع نـار

**رحلت وزادي لـوعة جوانح من
ومـطـيتـي حـرالـفـراق حـرار
مسير دعاه الناس ومعنى اسمه إن
سـيراً تـوسـعـاً حـقـقـوه إسـار
إذا رمت أن أنسى ديار بهـا بـين
الأسى ذكرت بـه الـضـلـوع ديار
لك الخير، عن غير وهل بي على صرف
اختياري ترحلي الزمان خيار؟
وهذا كتابي تحكم فـي
والجـفـون كـأنـهـا أشـفـارهـن شـفـار**

وله:

**فحم كيوم الفراق نار كنار الفراق في
يشعـلـه الكبد
أسود قد صار تحت مثل العيون اكتحلن
حمرتها بالرمد**

وله في محبوب جسيم:

**من أين أستر وجدي مالمتيم في تفـك
وهو منهـتـك الـهـوى درك؟
قالوا: عشقت عظيم كالشمس أعظم جسمٍ
الجسم، قلت لهم: حازه الفـلـك**

وله:

**رضاك شباب لا يليه وسخطك داء ليس
مشـيب منه طبيب
كأنك من كل القلوب فأنت إلى كل القلوب
مركب حبيب**

قال: ومما أنشدته له ولم أجده في ديوانه:

**قلت لأصحابي وقد منتقباً بعد الضيا
مـر بـي بـالـظـلـم
بالله يا أهـل ودادي كي تبصروا كيف
قـفـوا زوال النعم؟**

وحدث السلامي قال: حدثني اللحام قال: خرج أبو أحمد بن ورقاء الشيباني في بعض الأسفار فكتب إليه أبو القاسم التنوخي الأنطاكي يتشوق إليه ويجزع على فراقه:

**أسير وقلـبـي فـي وحادي ركابـي لـوعة
ذراك أسـير وزفـير
ولي أدمع غرز تفيض جدىً فاض في
كـأنـهـا العافين منك غزير**

وطرف طريف بالسهـاد كـأنـه نداك وجيش الجـود فـيه يغـير
أبا أحمدٍ إن المـكـارم مـنـهـل لكـم أول مـن ورده وأخـــير
سماح كمزن الجود فيه تـسـجـم وغاب لأسد الـمـوت فـيه زئير
شباب بني شيبان شيب إذا انـتـدوا وقلهـم يوم الـلـقـاء كـثـير
وجوه كأكبـاد الـمـحـبـين رقةً على أنها يوم اللقـاء صـخـور

وحدث أبو سعد السمعاني ومن خطه نقلت بإسنادٍ رفعه إلى منصورٍ الخالدي قال: كنت ليلةً عند القاضي التنوخي في ضيافته فأغفى اغفاءةً فخرجت منه ريح، فضحك بعض القوم فانتبه لضحكه وقال: لعل ريحاً، فسكتنا فمكث هنيهةً ثم أنشأ يقول:

إذا نامت العينان مـن مـتـيقـظٍ تراخت بلا شكٍ تشاريج فقحـتـه
فمن كان ذا عقلٍ فيعـذر نـائمـاً ومن كان ذا جهلٍ ففي جوف لحيته

ومن خط السمعاني بإسناده له، وهي من مشهور شعره:

لم أنس شمس الضحى تطالعنـي ونحن من رقبةٍ عـلـى فـرق
وجفن عيني بـدمـعـه شـرق لما بدت في معصفـرٍ شـرق
كأنه أدمـعـي ووجـنـتـهـا لما رمتنا الوشـاة بـالـحـدق
ثم تغطت بكـمـهـا خـجـلاً كالشمس غابت في حمرة الشفق

وله:

تخير إذا ما كنت في الأمر مرسلاً فمبلغ آراء الرجال رسـولـهـا
وروئ وفكر في الكتاب فإنـمـا بأطراف أقلام الرجال عقولهـا

وحدث أبو عليٍ المحسن بن علي بن محمدٍ التنوخي: جرى في مجلس أبي - رحمه الله - يوماً ذكر رجلٍ كان صغيراً فارتفع، فقال بعض الحاضرين: من ذاك الوضيع؟ أمس كنا نراه بمرقعةٍ يشحذ، فقال أبي: وما يضعه من أن الزمان عضه ثم ساعده؟ كل كبيرٍ إنما

كان صغيراً أولاً، والفقر ليس بعارٍ إذا كان الإنسان فاضلاً في نفسه، وأهل العلم خاصةً لا يعيبهم ذلك، وأنا اعتقد أن من كان صغيراً فارتفع، أو فقيراً فاستغنى، أفضل ممن ولد في الغنى أو في الجلالة، لأن من ولد في ذلك إنما يحمد على فعل غيره، فلا حمد له هو خاصةً فيه، ومن لم يكن له فكان، فكأنما بكده وصل إلى ذلك، فهو أفضل ممن وصل إليه ميراثاً أوبجد غيره وكد سواه.

حدث أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد ابن داوود التنوخي: حدثني أبي قال: سمعت أبي - رحمه الله - يوماً ينشد وسنى إذا ذاك خمس عشرة سنةً بعض قصيدة دعبل بن عليٍ الطويلة التي يفخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم، ويرد على الكميت فيها فخره بنزارٍ وأولها:

أفيقي من ملامك يا ظعيناً كفاك اللوم مر الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيتٍ، فاشتهيت حفظها لما فيها من مفاخراليمن لأنهم أهلي، فقلت يا سيدي: تخرجها إلي حتى أحفظها؟ فدافعني فألححت عليه فقال: كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيتٍ، ثم ترمي بالكتاب وتخلقه على، فقلت: إدفعها إلي فأخرجها وسلمها لي وقد كان كلامه أثر في فدخلت حجرةً لي كانت برسمي من داره، فخلوت فيها ولم أتشاغل يومي وليلتي بشيء غير حفظها، فلما كان السحر كنت قد فرغت منها جميعها وأتقنتها، فخرجت إليه غدوةً على رسمي فجلست بين يديه فقال لي: كم حفظت من القصيدة؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها، فغضب وقدر أني قد كذبته وقال: هاتها، فأخرجت الدفتر من كمي فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أنشد إلى إن مضيت في أكثر من مائة بيتٍ، فصفح منها عدة أوراقٍ وقال: أنشد من هاهنا، فأنشدت مقدار مائة بيتٍ، فصفح إلى إن قارب آخرها بمائة بيتٍ وقال: أنشدني من هاهنا، فأنشدته من مائة بيتٍ فيها إلى آخرها فهاله ما رأى من حسن حفظي، فضمني إليه وقبل رأسي وعيني وقال: بالله يا ابني لا تخبر بهذا أحداً فإني أخاف عليك من العين. قال أبو عليٍ: قال

لي ابي: حفظني أبي وحفظت بعده من شعر أبي تمامٍ والبحتري سوى ما كنت أحفظ لغيرهما من المحدثين من الشعراء مائتي قصيدةٍ قال: وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون: من حفظ للطائيين أربعين قصيدةً ولم يقل الشعر فهو حمار في مسلاخ إنسانٍ، فقلت الشعر وبدأت بمقصورتي التي أولها:

لولا التناهي لم أطع نهي النهـي أي مدىً يطلب من جاز المدى?

قال علي بن المحسن: وجدت في كتب أبي كتاباً من كتب أبي محمد المهلبي إليه قبل تقلده الوزراة بسنين أوله: كتابي أطال الله بقاء سيدنا القاضي عن سلامةٍ لا زالت له ألفاً وعليه وقفاً:

وحمدٍ لمولىً أستمـد بـحـمـده وإن يسخط الأيام بالجمع بـيـنـنـا له الرتبة العلياء والعـز دائمـاً وترضى المنى حتى يرينيك سالما

وصل كتابه أدام الله عزه فقمت معظماً له، وقعدت مشتملاً على السرور به:

وفضضته فـوجـدتـه مثل السوالف والـخـدو بنظام لفظٍ كـالـثـغـو ليلاً على صفحات نور د البيض زينت بالشعور ر وكاللإلئ في النحور

أنزلته في القلب منزلة القلوب من الصدور قال أبو علي في النشوار: حدثني أبو العلاء صاعد ابن ثابتٍ قال: كتب إلى القاضي التنوخي جواب كتابٍ كتبته إليه، وصل كتابك:

فما شككت وقد جاء البشـير بـه وقلت: نفسي تفدي نفس مرسلـه وكاد قلبي وقد قلبـتـه قـرمـاً أن الشباب أتاني بعد ما ذهـبـا من كل سوءٍ ومن أملي ومن كتبا إلى قراءته أن يخرق الحجـبـا

قال: والشعر له وأنشدنيه بعد ذلك لنفسه. قال أبو علي: ولست أعرف له ذلك ولا وجدته في كتبه منسوباً إليه، ويجوز أن يكون مما قاله ولم يثبته، أو ضاع فيما ضاع من شعره فإنه أكثر مما حفظ، ومن شعر أبي القاسم علي بن محمدٍ التنوخي الأكبر:

يجود فيستحي الحيا عنـد جـوده عطايا تباري الريح وهي عواصف أقام له سوقاً ويخرس صرف الدهر حين يقول ويخجل منها المزن وهو هطول سماح لأرسال

بضائعها الـنـدى السمـاح رسـيل
له نسب لوكان لما غالها بعد
للشمـس ضـوءه الطـلـوع أفـول

وله:

يا واحد الناس لا اذ كان دون الورى
مستثنـيا أحـداً بالمجد منفردا
أماترى الروض قد ومد نحو الندامى
لاقاك مبتسماً لـلـسـلام يدا
فاخضر ناضره في واصفر فاقعه في
أبيضٍ يقـقٍ أحمرٍ نضـدا
مثل الرقيب بدا فاحمرّ ذا خجلاً
للعاشقين ضحـىً واصفر ذا كمداً

وله:

إلق العدو بوجهٍ لا يكاد يقطر من ماء
قطوب بـه البشاشـات
فاحزم الناس من في جسم حقدٍ وثوب
يلقى أعـاديه من مودات
ألصبر خير وخير وكثرة المزح مفتاح
القول أصدقه العداوات

وله في الناعورة:

باتت تئن وما بهـا وتحن من وجدٍ إلى
وجـدي نجـد
فدموعها تحيا ودموع عيني أقرحت
الرياض بهـا خدي

وله:

فديت عينيك وإن لم تبقيا من جسـدي
كـانـتـا شـيئاً
الأ خيالاً لـو تـأمـلـتـه في الشمس لم تبصر
له فيئاً

وكان عبد الله بن المعتز قد قال قصيدةً يفتخر فيها ببني العباس علي بن أبي طالبٍ أولها:

أبى الله إلا ما ترون غضابي على الأقدار
فمـالـكـم يا آل طالب

فأجابه أبو القاسم التنوخي بقصيدةٍ نحلها بعض العلويين وهي مثبتة في ديوانه أولها:

من ابن رسول الـلـه إلى مدغلٍ في عقدة
وابـن وصـيه الدين نـاصـب

نشا بين طنبورٍ ودفٍ ومزهرٍ … وفي حجرٍ شادٍ أو على صدر ضارب
ومن ظهر سكرانٍ إلى بطن قينةٍ … على شبهٍ في ملكها وشوائب

يقول فيها:

وقلت: بنو حربٍ كسو كم عمائماً … من الضرب في الهامات حمر الذوائب
صدقت، منايانا السيوف وإنما … تموتون فوق الفرش موت الكواعب
ونحن الألى لا يسرح الذم بيننا … ولاتدري أعراضنا بالمعايب
إذا ما انتدوا كانوا شموس نديهم … وإن ركبوا كانوا بدور الركائب
وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الردى … وإن ضحكوا بكواعيون النوائب
وما للغواني والوغى? فتعوذوا … بقرع المثاني من قراع الكتائب
ويوم حنينٍ قلت حزناً فخاره … ولو كان يدري عدها في المثالب
أبوه منادٍ والوصي مضارب … فقل في منادٍ صيتٍ ومضارب
وجئتم مع الأولاد تبغون إرثه … فأبعد بمحجوبٍ بحاجب حاجب
وقلتم نهضنا ثائرين شعارنا … بثارات زيد الخير عند التجارب
فهلا بإبراهيم كان شعاركم … فترجع دعواكم تعلة خائب

وله في معز الدولة:

لله أيام مضين قطعتها … وطوالها بالغانيات قصر
حين الصبا لدن المهز قضيبه … غض وإنواء السرور غزار
أجلو النهار على النهار وأنثني … والشمس لي دون الشعار شعار
حتى إذا ما الليل … دون الإزار من

أقبل ضمنا العناق إزار
فعلى النحور من وعلى الخدود من
النحور قلائد الخدود خمار
وبدت نجوم الليل من تزكوا كما يتفتح
حلل الدجى النوار
أقبلن والمريخ في مثل الدراهم
أوساطها وسطها دينار
فالجو مجلو النجوم في قمص وشيٍ ما
على الدجى لها أزرار
وكانما الجوز اوشاح والنجم تاج والوشاح
خريدةٍ خمار

ومنها في المدح:

ملك تناجيه القلوب وتخافه الأوهام
بما جنت والأفكار
فيد مؤيدة وقلب وشباً يشب وخاطر
قلب خطار
حين العيون شواخص للخوف لم تخلق لها
وكأنها أبصار
كل الورى أرض وأنت وجميعهم ليل وأنت
سماؤها نهار

وله:

ما منهم إلا أمرؤ غمر سمح اليدين مؤمل
الندى مرهوب
يغريه بالخلق الرفيع والمكرمات العذل
وبالندى والتأنيب
فله رقيب من نداه وعليه من كرم
على الورى الطباع رقيب

وله:

وقفنا نجيل الرأي وجمر الغضا بين
في ساكني الغضا الضلوع يجول
نشيم بأرض الشام عقود نضاد ما لهن
برقاً كأنه فصول

وله:

أما في جنايات ولامنصف إن جار
النواظر ناظر منهن جائر?
بنفسي من لم يبد فيرجع إلا وهو لي

قـط لـعـاذل فيه عـاذر
ولا لحظت عيناه ناهٍ فأصبح إلا وهو
عن الهـوى بالحـب آمـر
يؤثر فيه ناظر الفكر وتجرحه باللمس منها
بالمـنـى الضمائر

حدث أبو علي المحسن بن علي بن محمدٍ التنوخي في نشواره قصةً لأبي معشرٍ قد ذكرتها في مجموع الاختطاف عجيبةً. ثم قال: وهذا بعيد جداً دقيق ولكن فيما شاهدناه من صحة بعض أحكام النجوم كفايةً، هذا أبى حول مولد نفسه في السنة التي مات فيها وقال لنا: هذه سنة قطعٍ على مذهب المنجمين، وكتب بذلك إلى بغداد إلى أبي الحسن البهلول القاضي صهره ينعى نفسه ويوصيه، فلما اعتل أدنى علةٍ وقبل أن تستحكم علته أخرج التحويل ونظر فيه طويلاً وأنا حاضر فبكى ثم أطبقه واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيته التي مات عنها وأشهد فيها من يومه، فجاء أبو القاسم غلام زحل المنجم فأخذ يطيب نفسه ويورد عليه شكوكاً، فقال له يا أبا القاسم: لست ممن تخفى عليه فأنسبك إلى غلطٍ، ولا أنا ممن يجوز عليه هذا فتستغفلني، وجلس فوافقه على الموضع الذي خافه وأنا حاضر، فقال له: دعني من هذا. بيننا شك في أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر لسبعٍ بقين من الشهر فهو ساعة قطعٍ عندهم? فأمسك أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادماً لأبي وبكى. طويلاً وقال: يا غلام طست فجاءوه به فغسل التحويل وقطعه وودع أبا القاسم توديع مفارق، فلما كان في ذلك اليوم العصر مات كما قال.

قال المحسن: وحدثني أبي قال: لما كنت أتقلد القضاء بالكرخ كان بوابي بها رجل من أهل الكرخ، وله ابن عمره حينئذٍ عشر سنين أو نحوها، وكان يدخل داري بلا إذنٍ ويمتزج مع غلماني، وأهب له في بعض الأوقات الدراهم والثياب كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم، ثم خرجت عن الكرخ ورحلت عنها ولم أعرف للبواب ولا لابنه خبراً، ومضت السنون وأنفذني أبوعبد الله البريدي من واسطٍ برسالةٍ إلى ابن رائق فلقيته بدير العاقول، ثم انحدرت أريد واسطاً فقيل لي: إن

في الطريق لصاً يعرف بالكرخي مستفحل الأمر، وكنت خرجت بطالعٍ اخترته على موجب تحويل مولدي لتلك السنة.
فلما عدت من دير العاقول خرج علينا اللصوص في سفنٍ عدةٍ بسلاحٍ شاكٍ في نحو مائة رجلٍ وهو كالعسكر العظيم، وكان معي غلمان يرمون بالنشاب فخلفت أن من رمى منهم سهماً ضربته إذا رجعت إلى المدينة كأني مفزعه، وذلك أنني خفت أن يقتل أحد منهم فلا يرضون إلا بقتلي، وبادرت فرميت بجميع ما كان معي ومع الغلمان من السلاح في دجلة واستسلمت طلباً لسلامة النفس، وجعلت أفكر في الطالع الذي أخرجت فإذا ليس مثله مما يوجب عندهم قطعاً، والناس قد أدبروا إلى واسطٍ وأنا في جملتهم، وجعلوا يفرغون السفن وينقلون جميع ما فيها من الأمتعة إلى الشاطئ وهم يضربون ويقطعون بالسيوف، فلما انتهى الأمر إلى جعلت أعجب من حصولي في مثل ذلك والطالع لا يوجبه، فبينا أنا كذلك وإذا بسفينة رئيسهم قد دنت وطرح علي كما صنع في سائر السفن ليشرف على ما يؤخذ، فحين رآني زجر أصحابه عني ومنعهم من أخذ شيء من سفينتي، وصعد بمفرده إلي وجعل يتأملني، ثم أكب على يدي يقبلهما وهو متلثم فارتعت وقلت: يا هذا، ما شأنك؟ فأسفر لثامه وقال: أما تعرفني يا سيدي؟ فتأملته فلجزعي لم أعرفه فقلت: لا والله فقال: بلى، أناعبدك ابن فلانٍ الكرخي بوابك هناك، وأنا الصبي الذي تربيت في دارك. قال: فتأملته فعرفته إلا أن اللحية قد غيرته في عيني، فسكن روعي قليلاً وقلت يا هذا: كيف بلغت إلى هذه الحال؟ فقال يا سيدي: نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح وجئت إلى بغداد أطلب الديوان فما قبلني أحد، وانضاف إلى هؤلاء الرجال فطلبت قطع الطريق، ولوكان أنصفني السلطان وأنزلني بحيث استحق من الشجاعة وأنتفع بخدمتي ما فعلت بنفسي هذا. قال: فأقبلت أعظه وأخوفه الله ثم خشيت أن يشق ذلك عليه فيفسد رعايته لي فأقصرت، فقال لي يا سيدي: لا يكون بعض هؤلاء أخذ منك شيئاً؟ فقلت: لا، ما ذهب مني إلا سلاح

رميته أنا إلى الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال: قد والله أصاب القاضي، فمن في الكار ممن تعتني به؟ فقلت: كلهم عندي بمنزلةٍ واحدةٍ في الغم بهمن فلو أفرجت عن الجميع.

فقال: والله لولا أن أصحابي قد تفرقوا ما أخذوه لفعلت ذلك، ولكنهم لا يطيعونني إلى رده، ولكني أمنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ بعد، فجزيته الخير فصعد الى الشاطئ وأصعد جميع أصحابه ومنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ، ورد على قومٍ أشياء كثيرة كانت أخذت منهم، وأطلق الناس وسار معي إلى حيث آمن على وودعني وانصرف راجعاً.

حدث أبو القاسم قال: حدثني أبي قال: كان أول شيءٍ قلدته القضاء بعسكر مكرمٍ وتسترٍ وجند يسابور وأعمال ذلك من قبل القاضي أبي جعفرٍ أحمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي، وكنت في السنة الثانية والثلاثين من عمري، وذلك في شهور سنة عشرةٍ وثلاثمائةٍ، ومن شعره المشهور ما نقلته من ديوان شعره.

وراح من الشمس مخلـوقةٍ بدت لك في قدحٍ من نهـار
هواء ولـكـنـه سـاكـن وماء ولكنه غـير جـاري
إذا ما تأملـتـه وهـو فـيه تأملت ماءً محيطـاً بـنـار
فهذا النهاية في الابيضـاض وهذي النهاية في الاحمرار:
وما كان في الحكم أن يوجدا لفرط التنافي وفرط النفـار
ولكن تجاور سطحاهمـا ال بسيطان فاتفقا بـالـجـوار
وكان المدير لها بـالـيمـين إذا مال للسقي أوبالـيسـار
تدرع ثوباً من الـيـاسـمـين له فرد كمٍ من الجـلـنـار

قلت: وقد تنوزعت هذه الأبيات ورويت لغيره فقيل: إنها لأبي النصر الأنطاكي النحوي وغيره.

علي بن محمد بن الحسينبن العميد

بن محمد، أبو الفتح بن العميد الملقب بذي الكفايتين، كفاية السيف وكفاية القلم، وزير ركن الدولة أبي عليٍ الحسن بن بويه بعد أبيه، - وبذل مالاً في ذلك -، ثم وزير ابنه مؤيد الدولة بويه بالريّ وأصفهان وتلك الأعمال. وورد إلى بغداد صحبة عضد الدولة بن ركن الدولة لنصرة عز الدولة بختيار. قتل على ما يجيء شرحه - إن شاء الله تعالى - في سنة ستٍ وستين وثلاثمائة، ومولده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائةٍ، كذا ذكر ابن الصابئ. كان أديباً فاضلاً بليغاً، قد اقتدى بأبيه في علّو الهمة وبعد الشأو في الكرم والفضل:

إن السرى إذا سرى فبنفـسـه وابن السرى إذا سرى أسراهما

وكان أبوه قد أدبه فأحسن تأديبه، وهذبه أبو الحسين بن فارسٍ اللغوي وأحسن تهذيبه. ولما مات أبوه في الوقت ًالذي ذكرناه في ترجمته، وهو سنة ثلاثين وثلاثمائةٍ، قام مقامه في وزارة ركن الدولة وذلك قبل الأستكمال وفي بعدٍ من الاكتهال، وعمره حينئذٍ اثنتان وعشرون سنةً، وألقى ركن الدولة مقاليده إليه، وعول في تدبير السيف والقلم عليه، فلما جرى لعز الدولة بختيار بن معز الدولة ببغداد ما جرى مع غلامه سبكتكين، وأرسل إلى عمه ركن الدولة يستعين به، تقدم إلى أبي الفتح بالمضي إلى شيراز والمسير في صحبة ولده عضد الدولة لإنجاد عز الدولة، وورد إلى بغداد وجرى ما جرى من موت سبكتكين ومحاربة أصحابه حتى انجلوا عنها، وطمع عضد الدولة فيها، ومكاتبته أباه بمفارقتها وتسلينها الى عز الدولة، وكتب ركن الدولة إلى أبي الفتح بالقيام بذلك والتكفل به، حتى يفارق عضد الدولة بغداد في قصةٍ هي مذكورة في التواريخ، فتشدد ابن العميد على عضد الدولة في ذلك، وخاطبه فيه مخاطبات حقدها عضد الدولة عليه، فلما رجع عضد الدولة قال لابن العميد: ما حظيت من ورودي إلى بغداد بفائدة، وقد أطلقت بسببها أموالاً صامتةً لا تحصى. فقال له أبو الفتح: ما سلم من الأعطيات سلطان، ولا خلا من النفقات مكان، ولو استقصيت مقدار ما فرقته لكنت مبذراً. فقال له: عضد الدولة: أما أنت فقد شرف قدرك وعلا ذكرك، كناك خليفة الله في أرضه ولقبك، فأنت ذو الكفايتين أبو الفتح، فأعظم بذلك من فخرٍ يبقى بقاء

النيرين ويدوم دوام العصرين، وكان عضد الدولة يقول: خرجت من بغداد وأنازريق الشارب - لأن سفلة الناس والعامة كانوا يذكرونه بذلك - وخرج ابن العميد مكنى من الخليفة، ملقبا بذي الكفايتين. فلما مات ركن الدولة وقام مقامه بالري وتلك النواحي ابنه مؤيد الدولة بويه، كان الصاحب بن عبادٍ وزيره، فخلع علي أبي الفتح واستوزره والصاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة، فكره أبوالفتح موضعه فبعث الجند على الشغب وهموا بقتل الصاحب، فأمر مؤيد الدولة بالعود إلى أصبهان، وأسر مؤيد الدولة ذلك في نفسه إلى أشياء كان ينبسط فيها يحمله عليها نزق الشباب، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة وكثرة ميل القواد والعساكر إليه، فخيفت منه غائلة فكتب عضد الدولة إلى أخيه مؤيد الدولة يأمره بالقبض عليه واستصفاء أمواله وتعذيبه، فقبض عليه وحمله إلى بعض القلاع، وبدرت إليه منه كلمات في حق عضد الدولة نميت إليه فزادت من استيحاشه منه، فأنهض من حضرته من تكفل بتعذيبه واستخراج أمواله والتنكيل به فأول ما عمل به أن سمل إحدى عينيه، ثم نكل به وجز لحيته وجدع أنفه، وعذب بأنواعٍ من العذاب. قال:

بدل من صورتي المنظر لكنه ما بدل المخـبـر

وليس إشفاقاً على هالـكٍ لكن على من لي يستعبر

وواله القلب بما مسنـي مستخبر عني ولا يخبر

فقل لمن سر بما ساءني لابد أن يسلك ذا المعبر

ووجد على حائط مجلسه بعد قتله:

ملك شد لـي عـرا الـمـيثـاق بأمان قـد سـار فـي آلافـاق

لم يحـل رأيه ولـكـن دهـري حال عن رأيه فـشـد وثـاقـي

فقرى الوحش من عظامي ولحمي وسقى الأرض من دمي المهراق

فعلى من تركـتـه أو حبيبٍ تحـية

مـن قـريبٍ الـمـشـتـاق

وفي بني العميد يقول بعضهم:

مررت على ديار بني العميد فألفيت السعادة في خمـود

فقل للشامتِ الباغـي رويداً فإنك لم تبشر بالـخـلـود

قال: وكان أبو الفتح قد أغرم قبل القبض عليه بإنشاد هذين البيتين لا يجف لسانه عن ترديدهما:

ملك الدنيا أناس قبلـنـا رحلوا عنها وخلوها لنا

ونزلناها كما قد نزلـوا ونخليها لقومٍ غـيرنـا

فلما حصل في الاعتقال وأيقن أن القوم يريدون دمه وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله، مد يده إلى جيب جبةٍ عليه ففتقة عن رقعةٍ فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره، فألقاها في كانون نار بين يديه وقال للموكل به: اصنع ما أنت صانع، فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينارواحد، فما زال يعرضه على العذاب إلى أن تلف، ولما أحس بالقتل قال:

راعوا قليلاً فليس الدهر عبدكم كما تظنون والأيام تنـتـقـل

وهذا شيء من خبره وشعره: قال: كان أبو الفضل أبوه قد جعل جماعةً من ثقات أبي الفتح في صباه يشرفون عليه في منزله ومكتبه وينهون إليه إنفاسه، فرفع إليه بعضهم إن أبا الفتح اشتغل ليلةً بما يشتغل به الأحداث من عقد مجلس مسرةٍ وإحضار الندماء في خفيةٍ شديدةٍ واحتياطٍ من أبيه، وأنه كتب إلى من سماه يستهديه شراباً فحمل إليه ما يصلحهم من الشراب والنقل والمشموم، فدس أبوه إلى ذلك الإنسان من جاء بالرقعة الصادرة عن أبي الفتح، فإذا فيها بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، قد اغتنمت الليلة - أطال الله بقاء سيدي ومولاي - رقدةً من عين الدهر، وانتهزت فيها فرصةً من فرص العمر، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام، عدنا كبنات نعشٍ والسلام.

فاستطير أبوه فرحاً وإعجاباً بهذه الرقعة البديعة وقال: الآن ظهر لي أثر براعته ووثقت بجريه في طريقي ونيابته منابي، ووقع لي بألفي دينارٍ.
وحدث أبو الحسين بن فارس قال: جرى في بعض أيامنا ذكر أبياتٍ استحسن أبو الفضل بن العميد وزنها واستحلى رويها، وأنشد جماعة من حضر ما حضرهم على ذلك الروى، وهو قول القائل:

لئن كففـت وإلا شققت منك ثيابي

فأصغى إليه أبو الفتح، ثم أنشد في الوقت:

يا مولعاً بـعـذابـي أمارحمت شبابـي؟
تركت قلبـاً قـريحـاً نهب الأسى والتصابي
إن كنت تنكرمـابـي من ذلتي واكتـئابـي
فارفع قلـيلاً قـلـيلاً عن العظام ثـيابـي

قال: فتأمل هذه الطريقة وانظر إلى هذا الطبع، فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفته، ولم يعد الجنس ولم يقصد دونه، وبذلك يعرف قدر القادر على الخطابة والبلاغة ومن مستحسن شعره:

عودي وماء شبيبتي لاتعمدي لمقاتل
في عودي المعـمـود
وصليه ما دامت تؤويه في فيء لها
أصائل عيشه ممـدود
ما دام من ليل الصبا رجل الذرا فينان
في فاحمٍ كالعنقـود
قتل الزمان يبدلنه يققـاً بـربـدٍ
فطارقات جنـوده سـود

وله:

إذا أنا بلغت الذي كنت وأضعافه ألفاً فكلني
أشـتـهـي إلى الخمـر
وقل لنديمي قم إلى عليه الذي تهوى
الدهر فاقتـرح ودعني مع الدهر

وله:

أين لي من يفي من مضيفٍ خيالها
بشكر الليالـي وخيالـي؟
لم يكن بي على غيرها منيةً فجاد بهـا
الزمان اقتراح لـي

قرأت في كتاب أبي الحسن بن هلال بن المحسن: حدثني أبو إسحاق بن هلال جدي قال: لما سار عضد الدولة من بغداد عائداً إلى فارس أقام أبو الفتح ابن العميد بعده،

ووصل إلى حضرة الطائع لله حتى خلع عليه وحمله وكناه ولقبه ذا الكفايتين، وتنجز منه خلعاً ولقباً لفخر الدولة أبي الحسن، وأقطع من نواحي السواد ضياعاً كثيرةً رتب فيها نائباً يستوفي ارتفاعها ويحمله إليه، ودعاه أبو طاهر بن بقية عدة دعواتٍ وملأ عينيه بالهدايا والملاطفات وقال في بعض الأيام: لا بد إن أخلع على ابن العميد في مجلسي ودعاه، فلما قعد وأكل وجلس على الشرب أخذ ابن بقية بيده فرجيةً ورداءً في غاية الحسن والجلالة ووافى بهما إلى ابن العميد وقال له: قد صرت أيها الأستاذ جامدارك فإنظر هل ترتضيني لخدمتك؟ وطرح الفرجية عليه، وقدم الرداء بين يديه، فأخذه ولبسه. ومن شعره في الحبس:

ما بال قومي أأن أطاعتـهـم الأيام يجفوني أكابـرهـم والـدول؟
أأن تقاصر عني عراهم؟ ساء ما الحال تقطعنـي شاءوا وما فعلوا
أغراهم أن هذا الدهر عنهم وتنطق فيه أسكتـنـي الشاء والأبـل
قدماً رميت فلم تبلغ وأخطأ الناس من سهـامـهـم مرميه زحـل

وله:

يقول لي الواشون: كيف تحبهـا؟ فقلت لهم: بين المقصر والغالـي
ولولا حذاري منهم لصدقـتـهـم وقلت: هوىً لم يهوه قط أمثالـي
وكم من شفيقٍ قال: ما لك واجماً؟ فقلت: أنا مالي وتسألني ما لي؟

قال أبو الحسين: وحدثني أبو الفتح منصور بن محمد بن المقدر الأصبهاني قال: حدث أحد أصحاب أبي الفضل بن العميد المختصين به قال: كان أبو الفتح ابن أبي الفضل يباكر أباه في كل يوم ويدخل إليه قبل كل أحدٍ، فاتفق أن دخل يوماً وأنا جالس عنده، فلما رآه مقبلاً في الصحن وشاهد عمته وكانت ديلميةً ومشيته وهو يختال فيها ويسرف في تلويها، عجب من ذلك وقال لي: أماترى إلى هذه العمة وهذه المشية في مخالفتها لعادتنا ومفارقتها طريقتنا؟ فقلت: قد رأيت وأن رسم الأستاذ أن أخاطبه فيها وأنهاه عنها فعلت. فقال: لا تفعل فإنه قصير العمر، وما أحب أن أدخل على قلبه هماً ولا أمنعه هوىً. وقد روى أن أبا الفضل وجد له رقعةً كتبها إلى بعض من ينبسط إليه وفيها:

أديبنا المعروف يولع بالغلمان

بالكردي والمـرد
أدخلني يوما إلـى فناكني والأير من
داره عندي

فلما وقف ابن العميد أبوه على ذلك غضب وقال: أمثل ولدى يكتب مثل هذا الفحش والفجور؟ ثم قال: أما والله لولا ولولا، ثم أمسك كأنه يشير إلى ما حكم له من سوء العاقبة وقصر العمر.

حكى أبو الحسين بن فارس مما أورده أبو منصورٍ في اليتيمة قال: كنت عند الأستاذ أبي الفتح بن العميد في يومٍ شديد الحر، فرمت الشمس بجمرات الهاجرة فقال ليَ: ما قول الشيخ في قلبه، فلم أحر جواباً لأني لم أفطن لما أراد، ولما كان بعد هنيهةٍ أقبل رسول الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقمت إليه، فلما مثلت بين يديه تبسم إلي ضاحكاً وقال: ماقول الشيخ في قلبه؟ فبهت وسكت، وما زلت أفكر حتى انتبهت على أنه أراد الخيش، وكان من يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه في تلك الساعة، فدعاني ولفرط اهتزازه لها أراد مجاراتي فيها، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها، ثم أخذت أتحفه بنكت نثره وملح نظمه، فكان مما أعجب به وتعجب منه واستضحك له حكايتي رقعةً وردت له وعلى صدرها: وردت رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقةٍ، وأقصر من أنملة نملةٍ.

وقرأت في تاريخ ذي المعالي زين الكفاة الوزير أبي سعدٍ منصور بن الحسين الآبي قال: كان عضد الدولة ينقم على أبي الفتح بن العميد أشياء، وكان من أعظمها في نفسه: حديثه ببغداد لما خرج لنجدة بختيار فإنه جود القول والفعل في رد عضد الدولة عن بغداد، وأقام لنفسه بذلك ببغداد سوقاً تقدم بها عند أهل البلد والخليفة حتى لقبه الخليفة ذا الكفايتين، وكناه في مكتوبه بأبي الفتح. ولما انصرف عضد الدولة عن بغداد وقد ظهرت له مخايل الغدر من بختيار من قيام أهل بغداد وتصريحهم بالشتم له ولقبوه زريقاً الشارب، وذلك إن عضد الدولة تقدم باتخاذ مزملةٍ في داره ليشرب منها الجند والعامة، ولم يكن عهد مثل ذلك في دور السلاطين قبل، وكان من نفسه أزرق

العينين فلقبوه بذلك، فكان يقول: خرجت من بغداد وأنازريق الشارب، وابن العميد الوزير ذو الكفايتين وأبو الفتح.
فلما مات ركن الدولة في سنة ستٍ وستين وثلاثمائةٍ لأربعٍ بقين من المحرم، ضبط أبو الفتح ذو الكفايتين الأمر أحسن ضبطٍ، وسكن العسكر وفرق فيهم مال البيعة، وكان مطاعاً في الديلم محبباً إليهم كثير الإفضال عليهم، وبادر بالخبر إلى مؤيد الدولة وهو بأصبهان، فورد الري ومعه وزيره الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبادٍ يوم السبت لثلاثٍ خلون من صفرٍ، وجلس للتعزية ثم انتصب في مكان أبيه، وكانت له هيبة وسياسة، وفيه سخاء وسماحة، وخلع على أبي الفتح بن العميد ذي الكفايتين خلع الوزارة، وفوض إليه الأمر يوم الأربعاء لخمسٍ خلون من شهر ربيعٍ الأول، وكان الصاحب يرغب أن يقيم بالري ويخلفه فلم يأمن أبو الفتح جانبه وضرب الحجاب الشديد بينهما، وخوفوه منه لمحله من الصناعة ولمكانه من قلب مؤيد الدولة، فأراد إبعاده عن الحضرة ليتمكن من الإيقاع به إن أراد ذلك، وأشار على مؤيد الدولة بأن يرده إلى أصفهان ليدبر أعمالها والمقام بها، فخلع عليه على رسم الوزراء القباء والسيف والمنطقة وما يجري مع ذلك، وخرج يوم الأحد لثمانٍ خلون من شهر ربيعٍ الأول سنة ستٍ وستين وثلاثمائةٍ.
وأخذ مؤيد الدولة في التدبير على ابن العميد والاحتيال للقبض عليه، ولم يكن يقدم على ذلك لمحل الرجل في قلوب الديلم وإنصبابهم بمودتهم إليه، واخلاصهم في الموالاة له، وكان ذلك أقوى الدواعي لمحنته، وآكد أسباب نكبته، فإنه كان مقتبل الشباب قليل التجارب غير مفكرٍ في العواقب، وقد ولد في النعمة الضخمة ونشأ فيها، وخلف أباه وله دون خمس عشرة سنةً، وتولى الوزارة وله إحدى وعشرون سنةً، واعتاد خدمة الأمراء والقواد ومثولهم بين يديه وتنافسهم في خدمته، وكان يركب إلى الصيد وإلى الميدان لضرب الصوالجة فيتبعه أكثر أكابر الحضرة فيترجلون له ويمشون بين يديه، ثم يضيف في أكثر أيامه جماعةً منهم فيخلع عليهم أنواع الخلع النفيسة،

ويحملهم على الدواب الفارهة بالمراكب الثقيلة، وكان ركن الدولة يرخص له في ذلك ويعجب منه، فإنه كان تربيته وابن من طالت له صحبته وخدمته، فلما انتقل الأمر إلى مؤيد الدولة لم يصبر عليه، وكانت الأمور أيضاً بعد على جانب من الاضطراب فلم يسكن إليه، وذلك أن فخر الدولة كان مداجياً لأخويه، وكان أحب إلى الديلم منهما فلم يأمناه، وكان عز الدولة مكاشفاً بالخلاف، وبينه وبين ابن العميد ما قدمنا ذكره من المصافاة فاسترابا به، واجتمع إلى هذه الأحوال ما ذكرناه من حنق عضد الدولة عليه مما قدمه في حقه عند كونه ببغداد، وامتدت العين إلى ضياعه وأمواله وخزائنه وأسبابه ودوره وعقاره وبساتينه، فإنه كان يملك من ذلك ما يملأ العين ويفوت الوهم، فراسل عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة على لسان أبي نصرٍ خواشادة المجوسي، وكان من ثقاته وأماثل أصحابه بالقبض عليه بعد أن يوافق على بن كلمة على أمره ليؤمن ناحية العسكر ويوتبهم بمكانه، وجعلوا يجيلون الرأي أياماً، ويركب خواشاده إلى علي بن كلمة ليلاً ويجاريه في ذلك إلى أن اتفقوا يوم السبت سادس عشر شهر ربيعٍ الآخر على القبض عليه عند بكوره من الغد إلى الدار، وكان خواشاده عشية هذا اليوم عند علي بن كلمة. ولابن العميد ضيافة قد اجتمع فيها جماعة من القواد، فارتاب مؤيد الدولة بالأمر، وقدر إنه قد أحس بالسر وجمع الديلم لتدبيرٍ عليه وامتناعٍ منه، فلما عاد إلى عنده خواشاده أمره أن يلم بابن العميد ليتفرس فيه وفي المجتمعين عنده ما هو بصدده، فدخل عليه والرجل مشتغل بقصفه متوفر على طربه، فتأمله وعاد وأراد أن يحبسه عنده فامتنع ورجع إلى الدار فقال لمؤيد الدولة: الرجل غار غافل فلايهمنك أمره، وبكر ابن العميد سحراً إلى دار الإمارة، وكان الرسم اذ ذاك أن يحضروها بالشموع والمشاعل قبل الصباح.

فلما وصل مؤيد الدولة تقدم إليه علي بن كلمة وكلمه في حاجةٍ له فوعده بها فقال: قد وعدتني بها غير مرةٍ ولم تقضها، وأخذ بيده فجذبه من مكانه، وكان قد كمن له في الممر جماعة من خواص الديلم وثقات

مؤيد الدولة، فعانوه على إخراجه من ذلك البيت وإدخاله إلى حجرة هناك وتقييده، وذلك في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر، وأدخلت عليه الشهود فشهدوا عليه ببيع أملاكه جميعها وضياعه ومستغلاته من مؤيد الدولة، فلما حضر العدول أخرج إليهم كتاباً كان كتبه بطلاق امرأته ابنة جستان وأشهدهم طائعاً على نفسه بذلك. وقيل: إنه إنما فعل ذلك خوفاً من مؤيد الدولة أن يفضحه فيها، فأراد أن ينفصل منها وتبين منه لئلا يلزمه العار فيها، ولما حضروا للعقد بالبيع كشف للعدول عن قيده وأقر بالبيع، ثم اتفق أن أفرج عن محبوسٍ كان في الدار، فعدا غلام له مستبشراً وقال: قد أفرج عن الأستاذ يريد أستاذ نفسه، وصكت الكلمة أسماع العامة فتباشروا وظنوا إنه قد أفرج عن أبي الفتح، وصاحت البلدة صيحةً واحدةً، واجتمع من أهل البلد على باب السلطان وميدانه وفي داره ما غصت به الأماكن، وامتلأت منهم الشوارع والمساكن، وركب الديلم بأجمعهم مستبشرين، وتلقوه على زعمهم في الخدمة فرحين، ورأى مؤيد الدولة من ذلك ما هاله، وظن إن العسكر قد ركب لاستنقاذه، فلما عرف حقيقة الحال سكن وأمر بطرد العامة، وأركب الحجاب لطرد القواد والديلم، وأنفذ في تلك الليلة ابن العميد إلى قلعة استوناوند وقتل فيها بعد أيام وورد رأسه. قال الوزير أبو سعدٍ: وسمعت الصاحب كافى الكفاة رحمه الله يذكر أمره فقال في أثناء كلامه: إن مؤيد الدولة قال لي عند خروجي إلى أصبهان: إن ورد عليك كتاب بخطي أو جاءك أجل حجابي وثقاتي للاستدعاء فلا تبرح من أصفهان ولا تفارقها إلى أن يجيئك فلان الركابي فإنه إن اتجهت لي حيلة على هذا الرجل وأمكنني الله من القبض عليه بادرت به اليك، وهو العلامة بيني وبينك. قال: فاستعظمت لحداثة سني وغرة الصبا وقلة التجربة ما حكاه الصاحب من قول مؤيد الدولة: إن اتجهت لي حيلة على هذا الرجل، وتعجبت منه وأردت الغض من أبي الفتح والتقرب بذلك إلى الصاحب فقلت: وكان لأبي الفتح من القدر أن يصعب حبسه أويحتاج صاحبه إلى الاحتيال معه؟ فانتهرني الصاحب وقال يا فلان: أنت صبي تحسب أن

القبض على الوزراء سهل، ففطنت أنه يريد الرفع من شأن الوزارة وتفخيم أمرها، فعدلت عن كلامي الأول إلى غيره.

قال أبو حيان: حدثني أبو الطيب الكيمائي قال: قلت لأبي الفضل بعد أن سم الحاجب النيسابوري وبعد أن خطب على حمدٍ ودس إلى ابن هندٍ وغيرهم من أهل الكتابة والمروءة والنعم: لو كففت، فقد أسرفت، فقال يا أبا الطيب: أنا مضطر. قال: فقلت وأي اضطرار هاهنا؟ والله إن مخادعتنا لأنفسنا في ضرنا ونفعنا لأعجب من مكابرة غيرنا لنا في خيرنا وشرنا، وهذا والله رين القلوب وصدأ العقل وفساد الاختيار، وكدر النفس وسوء العادة، وعدم التوفيق. فقال يا أبا الطيب: أنت تتكلم بالظاهر وأنا أحترق في الباطن. قال فقلت: إن كان عذرك في هذه السيرة المخالفة لأهل الديانه وأصحاب الحكمة قد بلغ هذا الوضوح والجلاء فإنك معذور عندنا، ولعلك أيضاً مأجور عند الله ما لك الجزاء، وإن كنت تعلم حقيقة ما تراجعني عليه القول وتناقلني به الحجاج فإنك من الخاسرين الذين باءوا بغضب من الله على مذاهب الناس أجمعين، فبكى فقلت له: البكاء لا ينفع إن كان الإقلاع ممكناً، والندم لا يجدي متى كان الإصرار قائما، هذا كله بسبب ابنك أبي الفتح، والله إن ايامه لا تطول، وإن عيشه لا يصفو وإن حاله لا يستقيم، وله أعداء لا يتخلص منهم وقد دل مولده على ذلك، وإنك لا تدفع عنه قضاء الله وهو لا يغني عنك شيئاً، فعليك بخويصة نفسك.

قال أبو حيان: وقد ذكر ابن عبادٍ وأبا الفضل بن العميد ثم قال: وأما أبوالفتح ذو الكفايتين فإنه كان شاباً ذكياً متحركاً حسن الشعر مليح الكتابه كثير المحاسن، ولم يظهر كل ما كان من نفسه لقصر أيامه، واشتعال دولته وطفوها بسرعةٍ. ومن شعره:

إني متى أهززقناتي تنتثر أدعو بعاليها العلى فتجيبني

أوصالها أنبوبةً أنبـوبـا وأقد بحد سنانها المرهوبا

وله كلام كثير نظم ونثر، وله في صفة الفرس ما يوفى على كل منظومٍ، ولو أبقته الأيام لظهر منه كل فضلٍ كبيرٍ. ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة

للفقهاء يوماً، وللأدباء يوماً، وللمتكلمين يوماً، وللمتفلسفين يوماً، وفرق أموالاً خطيرةً وتفقد أبا سعيدٍ السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما وعرض عليهما المسير معه إلى الري ووعدهم ومناهم وأظهر المباهاة بهم، وكذلك خاطب أبا الحسن بن كعبٍ الأنصاري وأبا سليمان السجستاني المنطقي وابن البقال الشاعر وابن الأعرج النمري وغيرهم. ودخل شهر رمضإن فاحتشد وبالغ ووصل ووهب فجرت في هذه المجالس غرائب العلم وبدائع الحكمة، وخاصةً ما جرى مع أبي الحسن العامري، ولولا طول الرسالة لرسمت ذلك كله في هذا الكتاب، فمن ظريف ما جرى وفي سماعه فائدة واعتبار خبر أبي سعيدٍ السيرافي مع أبي الحسن العامري، وقد ذكرته في أخبار السيرافي قال أبو حيان: وحضرت المجلس يوماً آخر مع أبي سعيدٍ وقد غص بأعلام الدنيا وببرد الآفاق، فجرى حديث الصابئ فقال ذو الكفايتين: ذاك رجل له في كل طرازٍ نسج، وفي كل حومةٍ رهج، وفي كل فلاةٍ ركب، ومن كل غمامةٍ سكب، الكتابة تدعيه بأكثر مما يدعيها، والبلاغة تتحلى به بأحسن مما يتحلى هو بها، وما أحلى قوله:

حمراء مصفرة الأحشاء باعثة كأن في وجهها تبراً يخلصـه
طيباً تخال به في البيت عطارا قين يضرم في أفنانه الـنـارا

وقوله:

ما زلت في سكري ألمع كفها حتى تركت أديمها وكأنـمـا
وذراعها بالقرص والأثـار غرس البنفسج في نقا الجمار

وبلغ المجلس أبا إسحاق فحضر وشكر وطوى ونشر وأورد وأصدر، وكان كاتب زمانه لساناً وقلماً وشمائل، وكان له مع ذلك يد طولى في العلم الرياضي، وسمعت أبا اسحاق يقول: هو ابن ابيه لله دره، وأخذ في تعظيم أبيه.

قال عبد الله الفقير إليه: وقد ذكر أبو حيان قصة أبي الفتح بن العميد وسبب القبض عليه مبسوطةً مشروحةً وقد نقلتها هاهنا عنه بكمالها فإني لم أجد أحداً ذكرها أكمل منه. قال: ولما مات ركن الدولة سنة ستٍ وستين وثلاثمائة اجتمع ذو الكفايتين أبو الفتح وعلي بن كامة أحد أمراء الديلم والأعيان وتعاهدا وتواثقا وتحالفا وبذل كل واحد منهما الإخلاص لصاحبه والمودة في السر والعلانية، والذب والنوقير عند الصغير والكبير، واجتهدا في الأيمان الغامسة والعقود الموثقة، ودبرا أمر الجيش، ووعدا الأولياء، وردا النافر، وركبا الخطر الخاطر، وعانقا الخطب العاقر، وباشر كل ذلك أبو الفتح خاصةً بجدٍ من نفسه، وصريمةٍ من رأيه، وجودة فكره، وصحة نيته، وتوفيق

ربه.
فلما ورد مؤيد الدولة الري من أصبهان وصادف الأمر متسقاً ولقى كل فتق مرتقاً بما تقدم من الحزم فيه، ونفذ من الرأي الصائب عنده أنكر الزيادة الموجبة للجند فكرهها ودمدم بذكرها، فقال له أبو الفتح بها نظمت لك الملك، وحفظت لك الدولة، وصنت الحريم، فإن خالفت هذه الزيادة هواك فأسقطها فاليد الطولى لك.
وكان ابن عبادٍ قد ورد وحطبه رطب وتنوره بارد وأمره غير نافذٍ، هذا في الظاهر، وأما في الباطن، فكان يخلو بصاحبه ويوثبه على أبي الفتح بما يجد السبيل إليه من الطعن والقدح، فأحس بذلك ابن العميد فألب الأولياء على ابن عبادٍ حتى كثر الشغب وعظم الخطب وهم بقتله وقال للأمير: ليس من حق كفايتي في الدولة وقد انتكث حبلها، وقويت أطماع المفسدين فيها أن أسأم الخسف، والأحرار لا يصبرون على نظرات الذل وغمرات الهوان. فقال له في الجواب: كلامك مسموع ورضاك متبوع، فما الذي يبرد فورتك عنه؟ قال: ينصرف إلى أصفهان موفوراً، فوالله لو طالبته منصفاً برفع الحساب لما نظر فيه ليعرقن جبينه، ولئن أحس الأولياء الذين أصطنعهم بمالي وإفضالي بكلامه في أمري، وسعيه في فساد حالي، ليكونن هلاكه على أيديهم أسرع من البرق إذا خطف، ومن المزن إذا نطف. فقال له: لا مخالف لرأيك، والنظرلك، والزمام بيدك.
وتلطف ابن عبادٍ في خلال ذلك لأبي الفتح وقال له: أنا أتظلم منك اليك، وأتحمل بك عليك، وهذا الاستيحاش سهل الزوال إذا تألفت الشارد من حلمك، وعطفت على الشائع من كرمك، ولنى ديوان الإنشاء واستخدمني فيه ورتبني بين يديك، وأحضرني بين أمرك ونهيك، وسمني برضاك فإني صنيعة والدك، واتخذني بهذا صنيعةً لك، وليس يجمل أن تكر على ما بنى ذلك الرئيس فتهدمه وتنقضه، ومتى أجبتني إلى هذا وآمنتني فإني أكون خادمك بحضرتك، وكاتباً يطلب الزلفة عندك في صغير أمرك وكبيره، وفي هذا إطفاء النائرة التي قد ثارت بسوء ظنك وتصديقك أعدائي

علي. فقال في الجواب: والله لا تجاورني في بلد السرير، وبحضرة التدبير وخلوة الأمير، ولا يكون لك إذن على ولا عين عندي، وليس لك مني رضاً إلا بالعود إلى مكانك من أصبهان، والسلو عما تحدث به نفسك.
فخرج ابن عبادٍ من الري على صورةٍ قبيحةٍ متنكراً بالليل، وذلك أنه خاف الفتك والغلبة، وبلغ أصبهان وألقى عصاه بها، ونفسه تغلي وصدره يفور، والخوف شامل والوسواس غالب، وهم أبو الفتح بإنفاذ من يطالبه ويؤذيه ويهينه ويعسفه فأحس هو بالأمر.
فحدثني أبو النجم قال: عمل على ركوب المفازة إلى نيسابور لما ضاق عطنه، واختلف على نفسه ظنه، وإنه لفي هذا وما أشبهه، حتى بلغهم أن خراسان قد أزمعت الدلوف إليهم، وتشاورت في الإطلال عليهم.
فقال الأميرلأبي الفتح: ما الرأي وقد نمى الينا ما تعلم من طمع خراسان في هذه الدولة بعد موت ركن الدولة؟ فقال أبو الفتح: ليس الرأي إلي ولا إليك، ولا الهم لي: أنت كاتب خليفتي، يدبر هذا بالمال والرجال وهو الملك عضد الدولة أخوك. قال: فاكتب إليه وأشعره وأشع ما قد منينيا به وأشهره، وسله يداوي هذا الداء. فكتب أبو الفتح وتلطف. فصدر في الجواب: إن هذا لأمر عجاب، رجل مات وخلف مالاً وله ابن فلم يحمل إليه من إرثه شيء زوياً عنه واستئثاراً دونه، ثم يخاطب بأن يغرم شيئاً آخر من عنده قد كسبه بجهده، وجمعه بسعيه وكدحه، هذا والله حديث لم نسمع بمثله، ولئن استفتى الفقهاء في هذا لم يكن عندهم منه بتةً إلا التعجب والاستطراف ورحمة هذا الوارث المظلوم من وجهين: أحدهما أنه حرم ماله بحق الإرث، والآخر أنه يطالب بإخراج ما ليس عليه، وإن شاء حاكمت كل من سام هذا إلى من يرضى به.
فلما سمع مؤيد الدولة هذا قال لأبي الفتح: ما ترى؟ قال: قد قلت وليس لي قول سواه، هذا الرجل هو الملك والمدبروالمال كله ماله، والبلاد بلاده، والجند جنده والكل له، والاسم والجلالة عنده، وليس هاهنا إرث قد زوى عنه، ولا مال استؤثر به دونه، والنادرة لا وجه لها في أمر الجد وفيما لا تعلق له باللعب، أما خراسان فكانت مذ عشرين سنةً تطالبنا بالمال

وتهددنا بالمسير والحرب، ونحن مرةً نحارب ومرةً نسالم، وفي خلال ذلك تفرق المال بعد المال على وجوهٍ مختلفةٍ، فاحسب أن ركن الدولة حي باقٍ، هل كان له إلا أن يدبر بماله ورجاله وذخائره وكنوزه? أفليس هذا الحكم لازماً لمن قام مقامه وجلس مجلسه، وألقى إليه زمام الملك وأصدر عنه كل رأيٍ? وهل علينا إلا الخدمة والنصرة والمناصحة في كل ما سهل وصعب? كما كان عليه ذلك بالأمس من جهة الماضي.

فقال مؤيد الدولة: إن الخطب في هذه أراه يطول، والكلام يتردد، والمناظرة تربو، والفريضة تعول، والفرصة تفوت، والعدو يستمكن، وأرى في الوقت أ، نذكر وجهاً للمال حتى نحتج به، ثم نستمد في الثاني منه، ويرضى الجند في الحال ونتحزم في الأمر، ونظهر المرارة والشكيمة بالاهتمام والاستعداد، حتى يطير الخبر إلى خراسان بجدنا واجتهادنا، وحزمنا واعتمادنا، فيكون ذلك مكسرةً لقلوبهم وحسماً لأطماعهم، وباعثاً على تجديد القول في الصلح ورد الحال إلى العادة المألوفة. فقال: نسأل الله بركة هذا الأمر فقد نشأت منه رائحة منكرة، ما أعرف للمال وجهاً، أما أنا فقد خرجت من جميع ما عندي مرةً بما خدمت به الماضي تبرعاً حدثان موت أبي، ومرةً بما طالبني به سراً وأوعدني بالعزل والاستخفاف من أجله، ومرةً بما غرمت في المسير إلى العراق في نصرة الدولة، وهذه وجوه استنفدت قلى وكثري، وأتت على ظاهري وباطني، وقد غرمت إلى هذه الغاية ما إن ذكرته كنت كأني ممتن على أولياء نعمتى، وإن سكت كنت كالمتهم عند من يتوقع عثرتي، فهذا هذا. وأما أموال النواحي فأحسن أحوالنا فيها أنا نرجئها في نواحيها مع النفقة الواسعة في الوظائف والمهمات التي تنوبنا، وأما العامة فلا أحوج الله إليها، ولا كانت دولة ولا تثبت إلا بها وبأوساخ أموالها. فقال مؤيد الدولة وكان ملقناً: هذا ابن كلمة وهو صاحب الذخائر والكنوز والجبال والحصون، وبيده بلاد وقد جمع هذا كله في دولتنا وحازه من مملكتنا وأيامنا وبدولتنا، وهو جام ماشيك، ومختوم ما فض مذ كان ما

نقول فيه، قال: ما لي فيه كلام فإن بيني وبينه عهداً ما أخيس به ولو ذهبت نفسي. فقال: اطلب منه القرض. قال: إنه يستوحش ويراه باباً من الغضاضة، وقدر القرض لا يبلغ قدر الحاجة، فإن الحاجة ماسة إلى خمسمائة ألف دينار على التقريب، ونفسه أنفع لنا وأرد علينا وأحصن لنا وإلينا من موقع ذلك المال، وبعد رأيه وتدبيره واسمه وصيته فوق المطلوب منه. قال: واذ ليس ههنا وجه فليس بأس بان يطالع الملك بهذا الرأي ليكون نتيجته من ثم. قال: أنا لا أكتب بهذا فإنه غدر. قال يا هذا: فأنت كاتبي وصاحب سري والزمام في جميع أمري، ولا سبيل إلى إخراج هذا الحديث إلى أحد من خلق الله، فإن أنت لم تتول حاره وقاره، وغثه وسمينه، ومحبوبه ومكروهه فمن? قال يا أيها الأمير: لا تسمني الخيانة، فإني قد أعطيته عهداً يذر الديار بلاقع، ومع اليوم غدن ولعن الله عاجلة تفسد الأجلة. فقال: إني لست أسومك أن تقبض عليه وأن تسيء إليه، أشر بهذا المعنى إلى الملك عذد الدولة وخلاك ذم، فإن رأى الصواب فيه تولاه دونك، وإن ضرب عنه أعاضنا رأياً غير ما رأينا، وأنت على حالك لا تنزل عنهاولا تبدلها، وإنما الذي يجب عليك في هذا الوقت بين يدي كتب حرفين: إنه لا وجه لهذا المال إلا من جهة فلان، ولست أتولى مخاطبته عليه، ولا مطالبته به وفاءً له بالعهد، وثباتاً على اليمين، وجرياً على الواجب، ولا أقل من أن تجيب إلى هذا القدر، وليس فيه شيء مما يدل على النكث والخلاف والتبديل. وما زال هذا وشبهه يتردد بينهما حتى أخذ خطه بهذا على أن يصدره إلى أخيه عضد الدولة بفارس. فلما حصل هذا الخط عنده وجن عليه الليل أحضر ابن كلمة وقال له: أما عندك حديث هذا المخنث فيما أشار به على الملك في شأنك? وأورد عليه في حقك وأمرك، وأطماعه في مالك ونفسك، وتكثيره عنده ما تحت يدك وناحيتك. فقال ابن كلمة: هذا الفتي يرتفع عن هذا الحديث، ولعل عدواً قد كاده به، وبيني وبينه ما لا منفذ للسحر فيه، ولا مساغ لظنٍ سيءٍ به. قال: ما قلت لك إلا بعد أن حققت ما قلت، ودع هذا كله في الريح، هذا كتابه إلى الملك بما

عرفتك، وخطه بيده فيه. قال علي بن كلمة: أنا أعرف الخط ولكن هاتوا كاتبي، فأحضر كاتبه الخثعمي فشهد أن الخط خطه، فحال على بن كلمة عن سجيته، وخرج من مسكنه وقال: ما ظننت بعد الأيمان المغلظة التي بيننا إنه يستجيز مثل هذا. قال الأمير: أيها الرجل، إنما أطلعك الملك على سر هذا الغلام فيك، لتعرف فساد ضميره لك، وما هو عليه من هناتٍ أخر، وآفاتٍ هي أكبر، فإنه هو الذي حرك من بخراسان، وكاتب صاحب جرجان، وألقى إلى أخينا بهمذان - يعني فخر الدولة - أخبارنا، وهو عين لبختيار هاهنا، وقد اعتقد أنه يعمل في تحصيل هذه البلاد، ويكون وزيراً بالعراق، فقد ذاق من بغداد ما لا يخرج من ضرسه إلا بنزع نفسه، وكان أبو نصرٍ المجوسي قد قدم من عند الملك عضد الدولة وهويفتل الحبل ويبرم، ويهاب مرةً ويقدم، وكان الحديث قد بيت بليلٍ واهتم به قبل وقته بزمانٍ. فقال علي بن كلمة: فما الرأي الآن؟ قال: لا أرى أمثل من طاعة الملك في القبض عليه وقد كنا على ذلك قادرين، ولكن كرهنا أن يظن بنا أنا هجمنا على ناصحنا، ومربب نعمتنا وناشئ دولتنا، فمهدنا عندك العذر، وأوضحنا لك الأمر. قال: فأنا أكفيكموه، ثم قبض عليه وكان منه ما كان، واستدعى ابن عبادٍ من أصفهان وولى الوزارة ودبرها برأي وثيقٍ وجدٍ رتيقٍ وذكر أبوعليٍ مسكويه في بعض كتبه قال: كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوي واستفحل لما وقع منه من الشغل بالفتوح الكبار، لأنه كان إذا وقع حرب بين الخراسانية وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم، وخدم خدمةً يستحق بها الإحسان، إلا أنه كان - مع ما أقطع وأغضى عنه من الأعمال التي تبسط فيها والإضافات التي يستولي عليها، - ربما تعرض لأطراف الجبل وطالب أصحاب الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها، فيضطر الناس إلى إجابته ولا يناقشه السلطان، فكان يزيد أمره على الأيام ويتشاغل الولاة عنه، إلى أن وقع بينه وبين سهلان ابن مسافرٍ خلاف ومشاحة تلاجا فيها، إلى أن قصده ابن مسافرٍ فهزمه حسنويه، وكان يظن ابن مسافرٍ أنه لا يكاشفه، ولا يبلغ الحرب بينهما

إلى ما بلغت إليه، فلم تقف الحرب بينهما حيث ظن، وانتهى الأمر بينهما إلى إن اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بعد الهزيمة إلى موضعٍ شبيهٍ بالحصار، ونزل الأكراد حواليهم ومنعوهم من الميرة وتفرقوا بإزائهم، ثم زاد الأمر وبلغ إلى أن أمر حسنويه الأكراد أن يحمل كل فارسٍ منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج، ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك، ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريدون بذلك، فلما اجتمع حول عسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرةٍ تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفاً، وحميت الشمس عليهم مع حر النار فأخذ بكظمهم وأشرفوا على التلف، فصاحوا وطلبوا الأمان فرفق بهم وأمسك عماهم به، وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل ذلك كله، وتقدم إلى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد، وهو الأستاذ الرئيس بقصده واستئصال شأفته، وأمره بالاستقصاء والمبالغة، فانتخب الأستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدةٍ وزينةٍ، وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد، ووقف حتى اجتاز به العسكر وعاد إلى الري، وسار الوزير ومعه ابنه أبوالفتح، وكان شاباً قد خلف أباه بحضرة ركن الدولة، وعرف تدبير المملكة وسياسة الجند، فهو بذكائه وحدة ذهنه وسرعة حركته، قد نفق نفاقاً شديداً على ركن الدولة، وهو مع ذلك لقلة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الأمور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه، ويحب أن يسير في خواص الديلم وهو يمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط يستميل قلوبهم، ويخلع عليهم خلعاً كثيرة، ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول الفره بالمراكب الثقال، ويريد بجميع ذلك أن يسلموا له الرياسة حتى لا يأنف أحد منهم من تقبيل الأرض بين يديه، والمشي قدامه إذا ركب، وكان جميع ذلك ما لا يؤثره الأستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته، وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه أن ذلك لو كان مما يرخص فيه، لكان هو بنفسه قد سبق إليه.

قال مسكويه: ولقد سمعته في كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع، وأنه ما ملكهم

أحد قط إلا بترك الزينة، وبذل ما لا يبطرهم ولا يخرجهم إلى التحاسد، ولا يتكبر عليهم ولا يكون إلا في مرتبة أوسطهم حالاً، وإن من دعاهم واحتشدهم وحمل على حالةٍ فوق طاعته، لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمه والسعي فى إزالتها، وترقب أوقات الغرة في آمن ما يكون الإنسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت، وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى ظن إنه قد ملأ قلبه رعباً، وإنه سيكف عن السيرة التي شرع فيها، فماهو إلا أن يفارق مجلسه ذلك حتى يعاود سيرته تلك، فأشفق الأستاذ في سفرته هذه إن يتركه بحضرة صاحبه، فيلج في هذه الأخلاق ويغتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي إلى ما لا يتلافاه، فسيره معه واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا علي محمد بن أحمد المعروف بابن البيع، وكان فاضلاً أديباً ركيناً، حسن الصورة مقبول الجملة، حسن المخبر خلقا وأدباً.

فلما كان الرئيس في بعض الطريق - وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لإفراط علة النقرس وغيره عليه - التفت فلم ير في موكبه أحداً، وسأل عن الخبر فلم يجد حاجباً يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيري، فسألني عن الخبر فقلت له: إن الجماعة بأسرها مالت مع أبي الفتح إلى الصيد، فأمسك حتى نزل في معسكره، ثم سأل عمن جرت العادة باستدعائه للطعام، وكان يحضره في كل يومٍ عشرة من القواد على مائدته التي تخصه، وعدة من القواد على أطباقٍ توضع لهم، وذلك على نوبةٍ معروفةٍ يسعى فيها نقباؤهم، فلما كان في ذلك اليوم لم يحضر أحد واستقصى في السؤال فقيل: إن أبا الفتح أضافهم في الصحراء فاستشاط من ذلك وساءه أن يجري مثل هذا ولا يستأذن فيه، وقد كان أنكر خلو موكبه وهو في وجه حربٍ ولم يأمن إن يستمرهذا التشتت من العسكر فتتم عليه حيلة، فدعا أكبر حجابه ووصاه أن يحجب عنه ابنه أبا الفتح، وأن يوصي النقباء بمنع الديلم من مسايرته ومخالطته، وظن أن هذا المبلغ من الإنكار سيغض منه وينهي العسكر عن اتباعه على هواه، فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثرٍ وعاد

الفتى إلى عادته، واتبعه العسكر ومالوا معه إلى اللعب والصيد والأكل والشرب، وكان لا يخليهم من الخلع والإلطاف، فشق ذلك على الأستاذ الرئيس جداً ولم يحب أن يخرق هيبة نفسه بإظهار ما في قلبه، ولا المبالغة في الإنكار وهو من مثل هذا الوجه، فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه. فدارى أمره وتجرع غيظه، وأداه ذلك إلى زيادةٍ في مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول في خلواته: ما يهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الأرض إلا هذا الصبي - يعني ابنه - وهو يقول في مرضه: ما قتلني إلا جرع، الغيظ التي تجرعتها منه، فلما حصل بهمذان اشتدت علته وتوفي بها - رحمه الله - في ليلة الخميس السادس من صفرٍ سنة ستين وثلاثمائةٍ. وانتصب ابنه ابو الفتح مكان أبيه، وكان العسكر كما ذكرت مائلاً إليه، فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومناهم، وبذل لهم طعامه ومنادمته، وأكثر من الخلع عليهم، وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه على الطاعة، وأومأ إلى مصالحته على مالٍ يحمله يقوم بما انفق على العسكر، ويتوفر بعد ذلك بقية على خزانة السلطان، ويضمن إصلاح حاله - إذا فعل ذلك - مع ركن الدولة، وكان ذلك يشق على سهلان بن مسافرٍ لما في نفسه من حسنويه، لأنه كان يحب الانتقام منه والتشفي به، وكان أبو الفتح يرى مفارقة حسنويه والعود إلى صاحبه بما به لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم، وأن يلحق بمكانه من الوزارة قبل أن يطمع فيه أولى وأشبه بالصواب.

وقد كان أبو عليٍ محمد بن أحمد بن البيع خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل ذلك ما عرفه بالكفاية والسداد وأرجف له بالوزارة، فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه إلى أن تقرر أمره على خمسين ألف دينارٍ، وجبا كورة الجبل وجمع من الدواب والبغال وسائرٍ التحف ما بلغ مقداره مائة ألف دينارٍ، ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى قلبه وشد متنه، وأحمد جميع ما دبره وأمره بالعود إلى الحضرة بالري.

قال: وفي سنة إحدى وستين تمكن أبو الفتح ابن العميد من الوزارة بعد أبيه، وفوض إليه ركن لدولة

تدبير ممالكه، ومكنه من أعنة الخيل، فصار وزيراً وصاحب جيش على رسم والده، إلا أن والده باشر هذه الأمور في كمال من أدواته وتمام من آلاته، فدبرها بالحزم والحنكة. وأما أبو الفتح فكان فيه - مع رجاحته وفضله في أدب الكتابة وتيقظه وفراسته - نزق الحداثة، وسكر الشباب، وجرأة القدرة، فأجرى أمره على ما تقدم من إظهار الزينة الكثيرة، واستخدام الديلم والأتراك والاحتشاد في المواكب والدعوات، حتى خرج به عن حد القصد إلى الإسراف، فجلب ذلك عليه ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب السيوف والأقلام.

وكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملابسة أمور الجند، وأحب الراحة والدعة ففوض إليه الأمور، ورآه شاباً قد استقبل الدنيا استقبالاً، فهو يحب التعب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله، ويستلذ فيه الانتصاب للأمر والنهي ومخالطة الجند والركوب إلى الصيد ومشى خواص الديلم وكبار الجند بين يديه، ثم مشاربتهم ومؤانستهم والأحسان إليهم بالخلع والحملان. فأول من أنكر هذا الفعل عليه عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة وكتابهما ثم سائر مشايخ الدولة، ورأوه يركب في موكبٍ عظيمٍ ويغشى الدار، فإذا خرج تبعه الجميع وخلت دار الأمارة حتى لا يوجد فيها إلا المستخدمون من الأتباع والحاشية، ثم ترقى أمره إلا المستخدمون من الأتباع والحاشية، ثم ترقى أمره في قيادة الجيش والتحقوا به إلى ندب إلى الخروج إلى العراق في جيشٍ كثيفٍ من الري والأجتماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذي وقع بينه وبين الأتراك المستعصين عليه، فأقام هناك وواطأ بختيار في أمورٍ خالف فيها عضد الدولة، وذاك أن عضد الدولة لما عاد من بغداد إلى فارس شرط على ابن العميد ألا يقيم ببغداد بعده إلا ثلاثة أيام ثم يلحق بوالده بالري، فلما خرج عضد الدولة طابت لابن العميد بغداد، فاتبع هوى صباه وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه، ووجد خلواً من أشغاله. وراحةً من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدةً. وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناءٍ

ومغنيات، وتمكن من اللذات وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في شانه، لأنه كان قد جرد من الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها مخالبه وتملكها، وقبض على بختيار واستظهر عليه، فخلصه وأعاد ملكه عليه، وصرف عضد الدولة عن بغداد، فكان يراه بختيار بصورة من خلصه من مخالب الأسد بعد أن افترسه، وأن سعيه بين ركن الدولة وعضد الدولة هو الذي رد عليه ملكه، فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه، وألا يعارضه في شيءٍ يدبره ويراه، فلم يجبه إلى ذلك وقال: لي والدة وأهل وولد ونعمه قد رتبت منذ خمسين سنة، وهي كلها في يد ركن الدولة ولا أستطيع مفارقته. ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفته، ولا يتم أيضاً لك مع ما عاملك به من الجميل، ولكني أعاهدك إن قضى الله عز وجل على ركن الدولة ما هو قاضٍ على جميع خلقه، أن أصير إليك مع قطعةٍ عظيمةٍ من عسكره فإنهم لا يخالفونني، وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أو غدٍ، وليس بتأخر أمره، واستقر بينهما ذلك سراً لم يطلع عليه إلا محمد بن عمر العلوي، فإنه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحدٍ منهما على صاحبه، ولم يظهر ذلك لأحدٍ حتى حدثني به محمد بن عمر بعد هلاك أبي الفتح، ولكن الغلط العظيم كان من أبي الفتح كونه أقام ببغداد مدةً طويلةً، وحصل أملاكاً اقتناها هناك واقطاعاتٍ اكتتبها وأصولاً أصلها على العود إليها، ثم التمس لقباً من السلطان وخلعاً وأحوالاً لا تشبه ما فارقه عضد الدولة عليها، ثم استخلص ببغداد بعض اولاد التناء بشيراز يعرف بأبي الحسن بن أبي شجاع الأرجاني من غير اختبارٍ له ولا خلطةٍ قديمةٍ تكشف له أمره، فلما خرج كانت تلك الأسرار التي بينه وبين بختيار - والتراجم بينهما تدور - كلها على يده ويتوسطها، ويهدي إلى عضد الدولة جميعها ويتقرب إليه بها، فلما عرف عضد الدولة حقيقة الأمر ومخالفة أبي الفتح بن العميد له، ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله وهو ذو الكفايتين، ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية من

هذه الخلع، عرف مكاشفته إياه بالعداوة، وكتم ذلك في نفسه إلى أن تمكن منه فأهلكه كما ذكرنا.
قال أبو سعد السمعاني: أنشدنا الحسن بن محمدٍ الأصبهاني بها، أنشدنا أبو زيدٍ صعلوك بن إميلوية بن أبي طاهرٍ الجبلي: قدم علينا قال: أنشدت لعضد الدولة في ابن العميد ومودته:

ودادك لازم مكنـون سـرى — وحبك جنتي والعشق زادي
فإن واصلتنـي أزداد حـبـاً — وإن صارمتني يزدد سهادي
وخالك في عذارك في الليالي — سواد في سوادٍ فـي سـواد

فأجابه ابن العميد:

دعاني في انبلاج الليل صبح — فنادى قم فحي على الفـلاح
فقلت له: ترفق يا مـنـادى — أليس الصبح مسود النواحي?
فثغري والمدام وحسن وجهي — صباح في صباحٍ في صباح

علي بن محمد الشمشاطي

العدوي أبو الحسن وشمشاط من بلاد إرمينية من الثغور. وكان معلم أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدإن وأخيه ثم نادمهما، وهو شاعر مجيد ومصنف مفيد، كثير الحفظ، واسع الرواية، وفيه تزيد.
قال محمد بن اسحاق النديم: إنني كنت أعرفه قديماً، وبلغني أنه قد ترك كثيراً من أخلاقه عند علو سنه. قال: وهو يحيا في عصرما في سنة سبعٍ وسبعين وثلاثمائةٍ.
قال المؤلف: وهو الذي روى الخبر الذي جرى بين الزجاج وثعلبٍ في حق سيبويه واستدراكه على ثعلبٍ في الفصيح عدة مواضع، وقد ذكر ذلك في ترجمة الزجاج رحمه الله تعالى، وكان رافضياً دجالاً يأتي في كتبه بالأعاجيب من أحاديثهم. ولأبي القاسم الرقي المنجم فيه يهجوه:

حف خديك دل يا شمشاطي — أنه دائمـاً لـغـير لـواط
وإنبساط الغلام يعلمنـي إن — ك تحت الغلام فوق البساط
وشروطٍ صبرت كرهاً عليها — لالها بل للذة الـمـشـراط

قال محمد بن اسحاق: له كتاب النزه والابتهاج وهو مجموع يتضمن غرائب الأخبار ومحاسن الأشعار كالأمالي، كتاب الأنوار محبوب يجري مجرى الملح والتشبيهات والأوصاف عمله قديماً ثم زاد فيه بعد ذلك، كتاب الديارات كبير، كتاب المثلث الصحيح، كتاب أخبار أبي تمام والمختار من شعره، كتاب القلم جيد، كتاب تفضيل أبي نواسٍ

على أبي تمام.

وحدث الشمشاطي في كتابه كتاب النزه والابتهاج قال: كنا ليلةً عند أبي تغلب بن حمدان وعنده جماعة بعضهم يلعب النرد فطال الجلوس حتى مضى من الليل هزيع والسماء تهطل، فقال أبو البركات لفتح بن نظيفٍ: يا فتح، كم قد مضي من الليل؟ فقلت له: هذا نصف بيت شعرٍ. فقال: لبعض من في حضرته: أتمه، فقال: هذه قافية صعبة لا تطرد إلا أن نجعل بدلً الياء واوً فعملت في الوقت، واستغلقت القافية حتى لا يزاد عليها بيت واحد إلا أن تكرر القافية بلفظٍ مؤتلفٍ ومعنىً مختلفٍ، مثل الغيل: اللبن يرضع من المرأة وهي حامل، قد أتينا بهذه اللفظة ومثلها لفظاً ولم نأت به معنىً، وكالغيل: الساعد الريان. والغيل: ما جرى على وجه الأرض. والغيل: الشحم الملتف ومثل القيل نصف النهار وقد أتينا به. والقيل: الملك ونحو ذلك فقلت:

يا فتح كم قد مضى من الليل؟	**قل وتجنب مقال ذي الـمـيـل**
فعارض النوم مسبل خـمـراً	**وعارض المزن مسبل الـذيـل**
والليل في البدر كالنـهـار إذا	**أضحى وهذا السحاب كاللـيـل**
يسكب دمعاً على الثرى فتر ال	**ماء بكل الدروب كالـسـيـل**
والنرد تلهى عن المنـام إذا ال	**فصوص جالت كجولة الخيل**
إذا لذيذ الكرى تـدافـع عـن	**وقت رقادٍ أضر بـالـحـيـل**
إن أمير الهيجاء في مأزق ال	**حرب الهمام الجواد والقـيـل**
من حزبه السعد طالع لـهـم	**وحربه موقـنـون بـالـويل**
نجيب أمٍ لم تـغـذه سـيء ال	**قسم ولا أرضعته مـن غـيـل**
يحمل أعباء كل مـعـضـلة	**تجل إن تستقـل بـالـشـيـل**
أمواله والطـعـام قـد بـذلا	**لآمليه بـالـوزن والـكـيـل**
جاوز عمراً بأساً وقصر عـن	**جود يديه السيحان والـسـيـل**
لا زال في نعـمـةٍ مـجـددةٍ	**يشرب صفو الغبوق والقـيـل**

وحدث الشمشاطي في كتابه هذا أيضاً قال: أخذت من بين يدي أبي عدنان محمد بن نصر بن حمدان رمانة فكسرتها ودفعت منها إلى من حضر من الشعراء والأدباء وقلت:

يا حسن رمانةٍ تقاسمـهـا كأنها قبل كسرهـا كـرة كل أديبٍ بالظرف منعوت وبعد كسرٍ حبات ياقـوت

علي بن محمد بن الخلال

أبو الحسن، الأديب الناسخ صاحب الخط المليح والضبط الصحيح، معروف بذلك مشهور. مات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائةٍ.

علي بن محمدبن عميرٍالنحوي الكناني

يكنى أبا الحسن. كان أحد الفضلاء من أصحاب أبي بكرٍ محمد بن الحسن بن مقسمٍ، روى عنه أمالي ثعلبٍ في سنة ست عشرة وأربعمائةٍ، فسمعه منه الحسن بن أحمد بن البلاج وأبوالفتح بن المقدر.

علي بن محمدابن دينار

بن عبد الرحيم، ابن دينار الكاتب أبو الحسين، بصري الأصل واسطي المولد والمنشأ، قال الحافظ أبو طاهر السلفي: وسألته يعني أبا الكرم خميس بن عليٍ الحوزي عن ابن دينارٍ فقال: سمع أبا بكر ابن مقسمٍ، ولقى المتنبي فسمع منه ديوانه ومدحه بقصيدةٍ هي عندنا موجودة في ديوانه أولها:

رب القريض اليك الحل والرحـل تضاءل الشعراء اليوم عند فـتـيً ضاقت على العلم إلا نحوك السبل صعاب كل قريضٍ عنـده ذلـل

وكان شاعراً مجيداً، شارك المتنبي في أكثر ممدوحيه كسيف الدولة بن حمدان وابن العميد وغيرهما، وكان حسن الخط يقال: إنه على طريقة ابن مقلة. مات سنة تسعٍ وأربعمائةٍ. حمل الناس عنه الأدب فأكثروا بواسط وغيرها، وكان سهل الخلائق جميل الطريقة، سأله الناس بواسط بعد موت أبي محمدٍ عبد الله العلوي أن يجلس لهم صدراً فيقرئهم فامتنع وقال: أنا أتعمم مدورةً وكمى ضيق وليست هذه حلية أهل القرآن، أظنني سمعت ذلك من أبي الحسن المغازلي الشاهد، هذا آخر ما قاله خميس. قلت: وقد سمع أبو غالب محمد بن بشران من ابن دينارٍ كثيراً، فروى عنه كتب الزجاج عن أبي الحسن بن عليٍ بن الجصاص عن الزجاج، وروى عنه مصنفات ثعلبٍ عن أبي بكرٍ محمد بن الحسن بن مقسم عنه.

وروى له كتب ابن الأعرابي عن ابن مقسمٍ عن ثعلبٍ

عنه، وروى له كتب ابن السكيت جميعها كالإصلاح والألفاظ والنبات وغير ذلك عن ابن مقسمٍ عن المعيدي عن ابن السكيت، وروى له كتب ابن قتيبة: كتاب غريب الحديث، وكتاب أدب الكاتب، وكتاب الأشربة وعيون الأخبار وعدد كتبٍ كلها عن أبي القاسم الآمدي عن أبي جعفر بن محمد بن قتيبة عن أبيه، وروى له كتب الآمدي جميعها عنه. وروى له كتاب أبي الفرج على بن الحسين الأصفهاني الأغاني الكبير وغيره عنه. وروى له كتاب الجمهرة لابن دريدٍ عن أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي جججٍ عن ابن دريدٍ وغير ذلك مما يطول شرحه، وأخذ ابن دينارٍ عن أبي سعيدٍ السيرافي وأبي عليٍ الفارسي، ومولد ابن دينارٍ سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائةٍ، وذكر أبو عبد الله الحميدي في ثبته قال: حدثني أبوغالب ابن بشران النحوي قال: حدثني أبو الحسين علي بن محمد ابن عبد الرحيم بن دينارٍ الكاتب قال: قرأت على أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني جميع كتاب الأغاني.

علي بن محمد النهاوندي النحوي

روى عن جنادة أبي أسامة وعن أبي يوسف أحمد ابن الحسين عن المبرد

علي بن محمدٍ أبو الحسن الهروي

والد أبي سهلٍ محمد بن عليٍ الهروي الذي يكتب الصحاح وقد ذكر في بابه، وكان أبوالحسن هذا عالماً بالنحو اماماً في الأدب، جيد القياس صحيح القريحة حسن العناية بالآداب، وكان مقيماً بالديار المصرية. وله تصانيف منها: كتاب الذخائر في النحو نحو أربع مجلداتٍ رأيته بمصر بخطه، وكتاب الأزهية شرح فيه العوامل والحروف، وهما كتابان جليلان أبان فيهماعن فضله.

علي بن محمد بن أبي الحسن الأندلسي

أبو الحسن الكاتب، مشهور بالأدب والشعر، وله كتاب في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس. كان في أيام الدولة العامرية، وعاش إلى أيام الفتنة ذكره الحميدي.